BIBLIOTHÈQUE DES ÉCRITS ANCIENS

ÉDITION BILINGUE

Le Trône et le Siège

تفسير العرش والكرسي

Al-Qāsim ibn Ibrāhīm al-Rassī · Exégèse théologique · Tradition du Yémen

TOME X

Texte arabe · Traduction française · Notes de lecture

REPÈRES HISTORIQUES

Présentation de l'ouvrage

Datation

Le traité remonte à al-Qāsim ibn Ibrāhīm al-Rassī, mort en 860. D'après l'écriture, l'éditeur situe la copie de Sanaa vers les XII^{e}–XIII^{e} siècles. Le manuscrit ne porte ni date ni nom de copiste.

Origine et conservation

Une copie yéménite est conservée à la bibliothèque de la Grande Mosquée de Sanaa. L'éditeur la désigne par la lettre arabe jīm et confronte ses lectures à celles d'autres copies.

Résumé

Un fils demande à son père ce que désignent le Trône et le Siège dans le Coran. Pour lui répondre, son père rapproche le trône de la reine de Saba, les usages des rois et des images tirées de la poésie arabe. Il examine aussi le rôle des anges et le sens des huit porteurs du Trône.

Notice détaillée et sources · p. 71

SOMMAIRE DU VOLUME

Parcours de lecture

Un fils demande à son père ce que désignent le Trône et le Siège dans le Coran. Al-Rassī rapproche les versets, les discours des prophètes, les pratiques royales et la poésie arabe. Le volume donne le traité entier, de la mention d'audition à la louange finale, selon le texte établi par ʿAbd al-Karīm Aḥmad Jadbān (tome I, pages 657 à 685).

Passage	Arabe	Français	Sens
La question adressée au père	4	43	65
L'Un, ses attributs et les paroles des envoyés	5	44	65
Du Psautier à la question des formes	10	47	65
La royauté, le Siège et le langage des exemples	12	48	66
Le trône du roi et celui de la reine de Saba	16	50	66
Les porteurs et le jugement	18	51	66
Corde, anse, fondations et sceau	20	53	67
Pourquoi huit porteurs ?	23	54	67
De l'entourage des anges à l'allégeance	26	56	68
Entourer, parler et se manifester	29	57	68
Lumière, labour et balance	32	58	68
Le temps, la montagne et la guerre chez les poètes	34	59	69
La maison, le pavillon et la bannière	36	61	69
Venir et s'établir sur le Trône	38	61	69
Les dernières comparaisons et la prière	40	63	70

Notice et sources..... 71

PREMIÈRE PARTIE

Texte original en arabe

النص العربي

01 · La question adressée au père

صفة العرش والكرسي وتفسيرهما

سماع علي بن محمد بن عبد الله عن الحسن بن القاسم رضي الله عنه.

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله على كل حال

قال علي بن محمد : حدثني الحسن بن القاسم ، عن الحسين بن القاسم رضوان الله عليه ، قال : سألت أبي رحمه الله وأرضاه ، عن تأويل ما ذكر الله سبحانه ، من كرسيه وعرشه؟

فقال : سألت يا بني فهّمك الله فاعلم وافهم ، وليكن أول ما تعلم فيما سألت عنه وتتفهم ، أن يخرج في ذلك كله من علمك وفهمك ، كل خاطرة خطرت بقلبك ، أو وقعت في وهمك ، لله فيها بمعنى من معاني خلقه كلها تشبيه أو تمثيل ، أو لشيء مما صنع الله كله بالله تسوية أو تعديل ، كبير ذلك كصغيره ، وقليله كله ككثيره.

فهذا يا بني هو الأصل في توحيد الله المقدم الأول ، والقول الصادق على الله وفي الله الصحيح المتقبّل ، الذي لا يقول بغيره في الله ولا على الله إلا كل مفتر أفّاك ، يلزمه في قوله بذلك على الله اسم الجهل بالله والإشراك ، وفي توهّم كل متوهّم لذلك على الله الخروج مما نزل الله في توحيده من كل تنزيل ، نزله الله سبحانه في القرآن أو في التوراة أو في الزبور أو في الإنجيل.

وتأويل ما سألت يا بني عنه ومعناه ، فأبين بيان ـ بحمد الله ـ لمن فهّمه الله إياه ، وإنما تلبّس ذلك وأظلم على من لبّس فيه على نفسه ، فأسلمه الله تبارك وتعالى فيه ـ صاغرا ـ إلى حيرته ولبسه ، وسبيل فهمه وعلمه منير مضي ، لا يجهله ـ بمنّ الله ـ من خلق الله زكي ولا رضي.

02 · L’Un, ses attributs et les paroles des envoyés

فمن ذلك وفيه ، ومن الدلائل عليه ، قول الله جل جلاله ، عن أن يحويه قول أو يناله ، : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) [الشورى : ١١]. وقوله سبحانه : (لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٠٣)) [الأنعام : ١٠٣]. وقوله تعالى : (اللهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا

نَوْمٌ) [البقرة : ٢٥٣]. فنفى سبحانه عن نفسه قليل النوم من السّنة نفيه للكثير ، تبرّيا منه وتعاليا عن مشابهة الأشياء كلها في معنى من معانيها كبير أو صغير. والحي : فهو الذي لا يغيره أبد ولا دهر ، والقيوم : فهو الدائم الذي لا يلم به تبدل ولا تغيّر . وكذلك قال لرسوله ، صلى الله عليه وعلى آله : (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ (١) اللهُ الصَّمَدُ (٢)) [الإخلاص : ١ ـ ٢] . ثم قال في آخر السورة : (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ (٤)) [الإخلاص : ٤]. والصمد فهو الذي ليس من ورائه مصمود ولا معمد ، وليس بعده في جلال ولا كبرياء بعد. والأحد : فهو الواحد الذي ليس بشيئين اثنين ، جزءين كانا أو غير جزءين ، ولا يتوهم أبدا سبحانه بمعنيين متغايرين ، أحدهما في الجزئية غير الآخر ، فيوصفان بالتباين والتغاير.

فلا يخلو كل واحد من الجزءين من أن يكون قادرا على حاله ، أو عاجزا عن مبلغ قوة الجزء الآخر في قدرته ومثاله ، فإن كان الجزء عاجزا لم يكن ربا ولا قويا ، وإن كان قادرا قدرته كان له في الربوبية مساويا ، فكانا جميعا ربين اثنين ، وإلهين متساويين ، وكان في ذلك الخروج من وصف الله بالوحدانية ، ومما وصف به نفسه جل جلاله من التفرد بالربوبية ، فلم يكن في قولهم إلها واحدا ، وعاد في وصفهم كثيرا عددا.

ومن دلائل الهدى والحق ، في بعد ربنا من مشابهة الخلق ، ما يقول الله سبحانه : (هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْباطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣)) [الحديد : ٣]. وكيف يكون لمن كان أولا آخرا ظاهرا باطنا من الأشياء شبيه أو نظير؟! أو يعتقد ذلك في من كان كذلك أبدا عقل صحيح أو ضمير؟!

وأول الأشياء أبدا غير آخرها ، وباطن الأشياء فغير ظاهرها ، فكفى بما قال سبحانه في ذلك بيانا ودليلا ، على أن لا يكون شيء من الأشياء كلها له شبيها ولا مثيلا.

وفيما من ذلك أبانه ، يقول سبحانه : (هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلهَ إِلَّا هُوَ عالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ هُوَ الرَّحْمنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللهُ الْخالِقُ الْبارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى يُسَبِّحُ لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤)) [الحشر : ٢٢ ـ ٢٤]. فدل سبحانه على نفسه بأنه هو ، وأنه لا نظير له ولا كفو.

وكذلك قال من رسله كل من قد عرفه ، عند ما سئل عنه فوصفه ، أو دلّ من جهله عليه ليعرفه ، فقال إبراهيم عليه السلام خليله ، لمن كان من قومه يجهله ، ولمن كان يلحد فيه

ويجادله ، يا قوم : (إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ) [الأنعام : ٧٩]. وقال صلى الله عليه لقومه ، عند ما منّ الله عليه به من معرفته وعلمه : (قالَ أَفَرَأَيْتُمْ ما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنْتُمْ وَآباؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعالَمِينَ (٧٧) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (٨٢)) [الشعراء : ٧٥ ـ ٨٢].

وكذلك قال نوح من قبله ، صلى الله عليه وعلى جميع رسله : يا قوم (ما لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقاراً (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْواراً (١٤) أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً (١٥) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً (١٦) وَاللهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَباتاً (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيها وَيُخْرِجُكُمْ إِخْراجاً (١٨) وَاللهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِساطاً (١٩) لِتَسْلُكُوا مِنْها سُبُلاً فِجاجاً (٢٠)) [نوح : ١٣ ـ ٢٠]. ومثل هذا قوله صلى الله عليه في تعريفه لله من جهله فكثير ، في أقله ـ والحمد لله ـ لمن أيقن بالله هداية جلية وتبصير .

وفي مثل ذلك ما يقول موسى ، لفرعون إذ طغى وتعامى ، إذ قال : (فَمَنْ رَبُّكُما يا مُوسى (٤٩)) [طه : ٤٩]. فقال صلى الله

عليه : (رَبُّنَا الَّذِي أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدى (٥٠)) [طه : ٥٠]. وكذلك قال عليه السلام ، عند ما دار بينه وبين فرعون في الله الكلام ، إذ يقول فرعون : (وَما رَبُّ الْعالَمِينَ (٢٣) قالَ رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٢٤) قالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلا تَسْتَمِعُونَ (٢٥)) [الشعراء : ٢٣ ـ ٢٥]. فقال لهم إذا قالوا مقالته ، وسألوه عليه السلام مسألته : (رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (٢٦)) [الشعراء : ٢٦]. فقال فرعون لهم ، عند جواب موسى إياهم : (إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧)) [الشعراء : ٢٧]. فقال موسى لهم جميعا : (رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَما بَيْنَهُما إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (٢٨)) [الشعراء : ٢٨]. فدلهم في ذلك كله ، على الله بصنعه وفعله ، ليس منهم من يدل على الله سبحانه بنعت ولا بحلية ، ولا يصفه جل ثناؤه بصورة ولا هيئة ، ولو كان كما قال الضالّون العمون ، الذين لا يعقلون ولا يعلمون ، على ما ذكروا من صورة آدم ، لكانت الصورة من لحم ودم ، ولوصفه العارفون به وسموه ، بالصورة والهيئة وحلّوه.

وفي مثل ذلك من وصفه بصنعه وخلقه ، وصدق القول عليه فيه وحقه ، ما تقول رسل الله صلى الله عليها ، للأمم التي أرسلها الله إليها ، إذ شكّوا في الله وتحيروا ، ولم يبصروا من

الله ما بصروا : (أَفِي اللهِ شَكٌّ فاطِرِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ) [إبراهيم : ٦]. فما دل الله جل ثناؤه على نفسه ، ولا دل عليه العارفون به ، بحلية ولا صورة ، ولا بهيئة منعوتة ولا مذكورة ، ولكن دل سبحانه على نفسه ودلت رسله عليه بخلقه وفطرته ، وبما يرى في ذلك من أثر جلاله وكبريائه وقدرته.

03 · Du Psautier à la question des formes

فمن لم يكتف بذلك في المعرفة بالله فلا كفي ، ومن لم يشتف ببيان الله فيه فلا شفي ، ففيما بيّن الله من آياته في ذلك ما يقول سبحانه للمؤمنين والذين لا يعلمون ، إذ قالوا : (لَوْ لا يُكَلِّمُنَا اللهُ أَوْ تَأْتِينا آيَةٌ كَذلِكَ قالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآياتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (١١٨)) [البقرة : ١١٨]. فنسأل الله أن ينفعنا ببيانه ، وبما نزّل من فرقانه.

ومن البيان في ذلك والنور ، قول داود عليه السلام في الزبور : (سبحان الله القدوس الأعلى ، ورتلوا أسماءه الحسنى العلى ، مصطفى إسرائيل الفعال لما يريد من الأشياء ، في البحار والأرض والسماء ، الذي أنشأ برحمته السحاب ، وجعل البرق والرياح الهواب ، وغرّق فرعون وجنوده في البحر ، وأظهر ما

أظهر من عجيب آياته بأرض مصر ، وقتل ملوك الجبابرة ملك المواسر وملك نيسان ، وكل من كان من عتاة ملوك بني كنعان ، وأعطى إسرائيل أرضهم عطية ، وهبها لهم هبة هنية) .

وما في نفي التشبيه عن الله بخلقه في الإنجيل ، فكثير بحمد الله غير قليل ، ولو لا كراهتنا للتكثير في الكتاب والتطويل ، لذكرنا إن شاء الله بعض ما فسّر في ذلك من الأقاويل.

ثم قوله سبحانه فيما فسر المفسرون من التوراة الذي لا كقول ، والذي هو أصدق الصدق وأفضل الفضول ، إذ قال لموسى صلى الله عليه ، إذ ناجاه في مصيره إليه ، : (يا موسى إني أنا الله) ، مرتين اثنتين ، زيادة من الله له في التعريف والتبيين ، (إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسحاق ويعقوب) ، تعريفا له من وحدانيته وإلهيته بما ليس في شيء منه شرك لمربوب.

فهل تسمع لله سبحانه أو لأحد من رسله من قول ، في وصف لله تعالى بعرض أو طول؟! بل وصف نفسه جل ثناؤه ، ووصفه رسله وأنبياؤه ، بالوحدانية والقدرة والجلال ، لا بحسن صورة ولا هيئة ولا حلية ولا جمال.

والصورة يا بني فلا تكون أبدا إلا من صانع مصوّر ، وما في الصورة من أثر التقدير والتدبير فلا يكون إلا من مدبّر مقدّر ،

فسبحان البارئ المصور الذي ليس بمبروّ ولا مصوّر ، والمقدّر المدبّر الذي ليس بمقدّر ولا مدبّر!! وتعالى الله رب العالمين ، وأكرم الأكرمين ، عن أن يوصف بصور الآدميين ، أو مشابهة شيء من المخلوقين ، وكيف يكون الخالق في شيء كخلقه ، والمخلوق في شيء ما كان كخالقه؟! فهذا يا بني ما لا يصح في الألباب ، على إله الآلهة ورب الأرباب.

فهل تعرّف الله قط تبارك وتعالى ، إلى أحد من خلقه بحلية من الحلى ، كلا لن يوجد ذلك من الله أبدا ، ولن يعرف الله من عرفه إلا أحدا واحدا ، غير ذي نواح وأطراف ، ولا مختلف في الأوصاف ، بل تدل أوصافه كلها على واحد أحد ، غير معروف بصورة ولا حلية ولا عدد ، ليس له ند يساويه ، ولا ضد يناويه ، يستدل عليه تبارك وتعالى وعلى جلاله ، بدلائل لا يحصيها غيره من صنعه وفعاله ، فهل يعمى ويصم عما يرى ، إلا من لا يسمع بقلب ولا يرى ، فنحمد الله على ما منّ به في ذلك من الهدى ، وعلى ما بصّر برحمته في ذلك من ضلال أهل الهلكة والردى.

04 · La royauté, le Siège et le langage des exemples

[معنى العرش والكرسي]

وبعد فافهم نفعني الله ونفعك ، بما أسمعني من البيان وأسمعك ، مسألتك عن تأويل ما ذكر الله من كرسيه وعرشه ، فما تأويل ذلك عند من يؤمن بالله إلا كتأويل قبضته وبطشه ، وما ذلك كله ، وفرع ذلك وأصله ، إلا ملكه واقتهاره ، وسلطانه واقتداره ، الذي لا شرك لأحد معه فيه ، ولا ملك ولا سلطان لسواه عليه!

ألا تسمع كيف يقول سبحانه : (وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَلا يَؤُدُهُ حِفْظُهُما) [البقرة : ٢٥٥]. وتأويل يؤده : هو يثقله ، فهو لا يثقله حفظ ما هو من السماوات والأرض مالك له.

وكذلك تأويل : (إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ (١٣)) [البروج : ١٢ ـ ١٣]. و (يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرى) [الدخان : ١٦]. وليس يتوهم في كبرها ، طول ولا عرض في ذرعها ولا قدرها ، ولا يتوهم أن القبضة والبطش من الله على ما يعرف من الآدميين ببنان ولا كف ، وكذلك لا يتوهم أن الكرسي والعرش ذو قوائم ووسط وطرف ، ألا تسمع كيف يقول سبحانه : (وَكانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ) [هود : ٧]. تأويل ذلك : وكان ملكه على الماء ، كما كان عرشه الذي هو ملكه بعد خلقه للسماء على السماء.

وكذلك ذكر أن كرسيه قد وسع السماوات والأرض كلها ، ولم يذكر أنه جعل الكرسي موضعا لها ، بل ذكر أنها كلها فيه ، ولم يذكر أنه هو فيها ، وكان ذلك من الدلالة على أن الحفظ والملك هو الكرسي بعينه ، لا ما يتوهم من عمي عن تنزيل الله في ذلك وتبيينه ، وإنما ذكر الله الكرسي والعرش دلالة للعباد بذكرهما ، على ما ذكرنا ـ إن شاء الله ـ من أمرهما.

وإنما فهّم الله جل ثناؤه عباده ، وأبان لهم في كثير مما نزل الله من آياته رشاده ، بما ضرب لهم في ذلك من الأمثال ، وذكر برحمته من شبه ومثال ، وأمثال الأشياء ومثلها ، وفروع الأشياء وأصولها ، فليست بالأشياء أنفسها ، ولا بأعيان ما مثّل بها ، ولكنها أشباه ونظائر يستدل عليها ، من فكّر بعون الله فيها.

وفيما ذكر الله سبحانه من ضربه للأمثال ، وما فيها للمؤمنين من الهدى والاستدلال ، ما يقول سبحانه : (* إِنَّ اللهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً ما بَعُوضَةً فَما فَوْقَها فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ ما ذا أَرادَ اللهُ بِهذا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَما يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفاسِقِينَ (٢٦)) [البقرة : ٢٦]. ولا يهتدي لذلك إلا من اتقى ، كما قال تبارك وتعالى : (الم (١) ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ (٢)) [البقرة : ١ ـ ٢]. فليس يرتاب ـ والحمد لله ـ في

الكتاب ، أحد من أهل التقى والألباب ، فالحمد لله رب العالمين كثيرا ، على ما نوّر لأهل التقى بكتابه من الهدى تنويرا.

وفيما ضرب سبحانه للناس من الأمثال ، فيما نزل سبحانه من القرآن ، ما يقول تبارك وتعالى : (وَلَقَدْ ضَرَبْنا لِلنَّاسِ فِي هذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٧)) [الزمر : ٢٧]. ويقول سبحانه : (وَتِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ وَما يَعْقِلُها إِلَّا الْعالِمُونَ (٤٣)) [العنكبوت : ٤٣]. وكذلك فقد يجوّز الفكر في الكرسي والعرش ، وما ذكره الله له من القبضة والبطش ، فنفى عنه جل جلاله في قليل ذلك وكثيره ، مشابهة كبير خلقه وصغيره ، كما نفى عنه فيما ذكر من صفاته لنفسه ، مشابهة جن الخلق وإنسه ، كما قال سبحانه : (خَبِيرٌ بَصِيرٌ) [الشورى : ٢٧] ، ولا يمثل في ذلك من خلقه بالمختبرين المبصرين ، وقيل : كبير وقدير ولا يشبه بكبير الأشياء في الطول والعرض ولا بالمقتدرين ، وكما قال سبحانه : (فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٧٤)) [الواقعة : ٩٦ ، ٧٤ ، الحاقة : ٥٢]. وقال : (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ). ولا يشبه في العظم ، بعظم جثة ولا جسم ، ولا يمثل في الرحمة أرحم الراحمين ، بمن كان رحيما من الآدميين ، ومتى ما توهم ذلك متوهّم واعتقده في الله ، فهو ـ صاغرا ـ من المنكرين لله.

05 · Le trône du roi et celui de la reine de Saba

وكذلك صفات الله وأسماؤه كلها الحسنى ، فتعالى فيها كلها عن شبه الخلق في كل معنى.

وكذلك قبضته وبطشه ، وكرسيه وعرشه ، فلا يتوهم عرشه وكرسيه ذا قوائم وأركان ، ولا يتوهم قبضته وبطشه بكف ذات بنان ، ومتى ما توهم ذلك متوهم أو اعتقده في الله ، فهو مشرك لا شك بالله ، وبريء من توحيد الله ومعرفته ، إذ أشرك غيره في صفته.

وتأويل الكرسي والعرش لرب العالمين ، فغير تأويليهما في الآدميين ، لأن تأويلهما في بني آدم ، وفيما يحاط به لهم فيهما من العلم ، إنما هو مقعد الملك ، وآلة من آلات الملك ، يحمل للملك أو يوضع ، له دعائم ثماني أو أربع. والكرسي والعرش لله فإنما هما ملك الله وسلطانه ، وتمكّن الله من الأشياء واستمكانه ، وقدرة الله سبحانه وملكه منها لما لم يكن كقدرته وملكه لما قد كان ، وذلك فما لا يصف به ـ من قال صدقا ـ إلا الله الرحمن ، وكل من اعتقد التشبيه لله بشيء في وهمه ، فقد برئ من الإيمان بالله وحكمه ، وزال عنه اسم التوحيد ، وكان منه أبعد بعيد ، لا تحل له ذبيحة ، ولا موالاة ولا مناكحة.

وفي العرش وما ذكرنا من أمره ، وما قلنا به فيه من التأويل عند ذكره ، وأنه هو القدرة لله والملك ، الذي ليس فيه لغير الله شرك ، ما يقول الله لا شريك له : (فَتَعالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (١١٦)) [المؤمنون : ١١٦]. ويقول سبحانه لرسوله ، صلى الله عليه وعلى آله : (فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (١٢٩)) [التوبة : ١٢٩] ، وتأويل ـ إن شاء الله ـ ذلك الصحيح المستقيم ، إذ هو العرش العظيم الكريم ، فإنما هو كرم ملك الله وعظمه ، لا طول العرش ولا عرضه ولا ضخمه ، وما في عظمه لو كان كما قالوا وطوله وعرضه ، ما يكون به وإن عظم واتسع أعظم ولا أوسع من سماء الله وأرضه ، ولو كان ذلك ، كما قالوا كذلك ، لكان عظمه في الإكبار والإجلال ، دون عظم السماء والأرض والجبال.

وإني لأحسب ـ والله أعلم ـ أن الهدهد حين أنبأ ، بعظم عرش ملكة سبأ ، ما أراد بالعرش وذكره ، إلا عظم ملكها وكبر قدره ، ألا تسمع قوله : (وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (٢٢) إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَها عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣)) [النمل: ٢٢ ـ ٢٣]. فذكر ملكها لهم وما أوتيت وهو ما أعطيت من كل شيء ثم قال : (وَلَها عَرْشٌ عَظِيمٌ) ، وهذا إن كان إياه

أراد كما قلنا فهو الإكبار لها والتعظيم ، وإلا فما عظم عرشها أو سريرها ، من التعظيم لها أو لأمرها ، ومن الكبر لقدرها.

06 · Les porteurs et le jugement

وقوله سبحانه : (ذُو الْعَرْشِ) [غافر : ١٥ ، البروج : ١٥]. فتأويله : ذو الملك لا يتوهم ذلك كرسي منصوب ، لقوائمه في جوانبه ثقوب. ومثل ما ذكرنا في العرش من التمثيل للعباد بما يعرفون ، لا على ما يعلمون من خواص أحوالهم ويوقنون ، مما جل تبارك وتعالى عن مماثلتهم فيه ، أو أن يقع شيء من حقائق صفاتهم به عليه ، ما يقول سبحانه : (وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ) [الزمر : ٧٥]. وذلك فمقام الحكم في يوم القيامة والبعث وموقف الجزاء ، ثمّ من الله والقضاء ، بدائم السخطة منه والارتضاء.

وفي ذلك أيضا ومثله ، من موقف حكمه وفصله ، ما يقول سبحانه : (وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ (١٧) يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفى مِنْكُمْ خافِيَةٌ (١٨)) [الحاقة : ١٧ ـ ١٨]. وذلك فيوم العرض للعباد على المليك ، العلي الذي علا وتقدس عن مشاركة كل شريك ، يمثل ذلك سبحانه لهم بما قد رأوا ، وعرفوا وأبصروا ، من ملوك الدنيا إذا عرضوا ، فحكموا وقضوا ،

كيف تنصب لهم يوم ذلك عروشهم وكراسيهم ، للقضاء في أهل مملكتهم ومن تحت أيديهم.

وكل ما أمكن في العرش والكرسي من التمثيل ، فقد يمكن ـ والحمد لله ـ في حملة العرش مثله من التأويل ، وكذلك فقد يكون ذكر الله العرش وحملته من التمثيل ، في موقف الحكم والقضاء والتفصيل ، على ما قد رأوا من ملوك الدنيا وعرفوا ، لا على ما قال الجاهلون بالله ووصفوا. وكما جاز ذكر العرش للقضاء والفصل ، فقد يجوز مثله فيما ذكر للعرش من الحمل ، ولا تقبل العقول ، أن الله محمول ، كما يعرف من حمل شيء ، على سرير أو عرش أو كرسي!! ومن قال بذلك واعتقده فهو بالله من الجاهلين ، وعن المعرفة لله من الضالّين.

وكيف يتوهم من رفع تبارك وتعالى السماوات بغير عمد ، وأمسكها وأقامها في الأهوية بغير علق ولا سند ، كما قال سبحانه : (* إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولا وَلَئِنْ زالَتا إِنْ أَمْسَكَهُما مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ) [فاطر : ٤١]. وقال تبارك وتعالى: (رَفَعَ السَّماواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ) [الرعد : ٢] ، ثم قال جل ثناؤه (تَرَوْنَها) ، يعني سبحانه تعاينونها وتبصرونها ، غير معمودة من تحتها بعمد ، ولو كانت كذلك لرأى ذلك من أهل الأرض كل

أحد ، فكيف يكون من حملها سبحانه محمولا ، أو يكون ذلك عليه في القول مقبولا؟!

وما ذكر سبحانه من العرش والكرسي ، وبعده في ذكرهما من مشابهة كل شيء ، إلا كما ذكر سبحانه من إمساكه وإقامته ، لما ذكر من أرضه وسماواته ، لا يتوهم إمساكه لذلك ببنان ولا كف قابضة ، تقدس في ذلك عن كل صفة محدثة عارضة ، ولئن لم يتأولوا العرش لرب العالمين ، إلا على ما رأوا من عروش الآدميين ، ما لهم أن يتأولوا رفع السماوات والأرض إلا على مثال ما يعرفون ، من الآدميين ويتوهمون.

وكذلك يلزمهم أن يتوهموا صنع الله جل ثناؤه لما صنع ، كصنع من خلق الله من الآدميين وابتدع ، فيشبهون الله تعالى بالخلق ، ويقولون عليه بغير الصدق ، فيبين بإذن الله أمرهم ، ويظهر بالله كفرهم ، ولا يخفى شركهم ولا يستتر ، ولا يتوارى عند من عرف الله ولا يستسرّ ، فنستجير بالله من العمى والضلالة ، ومن الحيرة عن الله والجهالة.

07 · Corde, anse, fondations et sceau

وما الذي ذكر الله سبحانه في التمثيل من عرشه وحمله ، إلا كما ذكر الله من حبله ، إذ يقول تعالى : (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ

جَمِيعاً) [آل عمران : ١٠٣] ، و (ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ ما ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ) [آل عمران : ١١٢] ، فهل يتوهم ذلك حبل مسد ، أو حبلا من سواه يحصد .

ومثل ذلك قوله سبحانه : (فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقى) [البقرة : ٢٥٦]. فهل يتوهم أو يرى ، أن ذلك عروة من العرى ، التي تكون من شعر ، أو ليف أو لحاء من شجر ، قد أمرّ ذلك وعقد ، بما يعرف له من المرّة والعقد ، فلا يتوهم ذلك ـ والحمد لله ـ ولا يراه ، أحد من خلق الله رأيناه ولا علمناه.

و [ما] ما ذكر الله من العرش والكرسي وحمّاله ، إلا مثل ضربه الله من أمثاله ، فرحم الله عبدا فهم عن الله وحقّه ، فنفى عنه شبه جميع خلقه ، ولئن لزم الكرسي والعرش أن يكونا كالكراسي والأسرة المنصوبة ، ليلزمنّ مثل ذلك في تأويل رفيع الدرجات فتكون الدرجات عتبة بعد عتبة ، وذلك فما لا يتوهمه صحيح سوي ، ولا ضعيف في العلم ولا قوي. وما ما يسمع من هذا ومثله إلا أمثال مضروبة ، فهي والله المستعان في قلوب الجاهلين بالله محرفة مقلوبة ، فهم فيها ـ والحمد لله ـ لا يعقلون ولا يعلمون ، كما قال الله سبحانه : (وَتِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ وَما يَعْقِلُها إِلَّا الْعالِمُونَ (٤٣)) [العنكبوت : ٤٣].

وفي ذكر التمثيل والأمثال ، ما يقول الله ذو العزة والتعال : (قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللهُ بُنْيانَهُمْ مِنَ الْقَواعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ) [النحل : ٢٦]. فذكر الإتيان وليس يتوهم إتيان الله إتيان مجيء ، ولا يتوهم ما ذكر من البنيان [أنه] بنيان مبني ، ولا يتوهم السقف الذي ذكره الله سقفا مرفوعا ، ولا قواعد بنيانهم التي هي أساسه أساسا موضوعا ، من حجر ، ولا طين ولا مدر ، ولكنه مثل وتمثيل صادق ، مثّله العزيز الصادق الخالق ، الذي أصدق الأقوال أقواله ، وأصح الأمثال أمثاله. وكذلك فقد يمكن ما قلنا وفسرنا ، في الكرسي والعرش على ما مثّلنا وذكرنا.

ولفي التمثيل لهم بما يعرفون من الأمثال ، ما يقول في كتابه ذو الكبرياء والجلال : (خَتَمَ اللهُ عَلى قُلُوبِهِمْ) [البقرة : ٧]. فلا يتوهم ختم بخاتم ولا طين ، ولا يتأوله كذلك من يفرق بين لبس وتبيين.

ومثل ذلك قوله سبحانه : (وَجَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ) [الأنعام : ٢٥]. ولا يتوهم أحد وإن جهل وجفا ، الأكنة أغطية وغلفا.

وكذلك قوله ، جل جلاله : (وَاخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ) [الإسراء : ٢٤] ، و (وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَناحَكَ مِنَ الرَّهْبِ) [القصص : ٣٢] ، فهل يتوهم الجناح في ذلك كله كجناح طائر ، إلا كل أحمق من السامعين عم حائر. وما في هذا ومثله من الأمثال ، فيكثر عن أن نذكره في مقال ، فنعوذ بالله من العمى والحيرة ، ونستمتعه بما وهبه من الهدى والبصيرة ، فإنا في دهر عم تمكن فيه الجهلة العمون ، فقالوا على الله تبارك وتعالى بما لا يعلمون ، وخرجوا بمقالتهم في الله من حقيقة توحيد الله وهم لا يشعرون.

08 · Pourquoi huit porteurs ?

فإن قال قائل : فما وجه التسمية ، في الحمل للعرش لعدة (ثَمانِيَةٌ) [الحاقة : ١٧] ، وما تأويل (فَوْقِهِمْ)؟

قيل : أما فوقهم ، فهو على الحمال ورءوسهم ، وأما ثمانية فإني أحسب ـ والله أعلم ـ أن أكرم ما كان يعرف الأولون عندهم من العروش والكراسي ، التي كانت تتخذ فيما خلا لملوك الأمم في الزمان الماضي ، ما كان من العروش ذا ثماني قوائم في كل ركن منه قائمتان ، فتلك قوائم حينئذ ثمان ، قائمتان في كل طرف من الطرفين ، وقائمتان في كل جانب من الجانبين.

ولما كان ـ عند الأولين حمل ثمانية حمّال ، عرش كل ملك ذي قدرة في المملكة والجلال ، أكبر في التعظيم والإجلال ، عند الحمّال وعند غيرهم من أهل المملكة ، ومن وصل إليه ذلك من الجبابرة المتملكة ، أن يكون عرش الملك محمولا على الرءوس ، وكان ذلك أجلّ للملك في النفوس ـ كانت كل قائمة من قوائم عرش الملك إذا حمل العرش محمولة على رأس حامل واحد ، فتلك ـ يا بني هداني الله وإياك ـ حينئذ ثمانية سواء في العدد ، فهذا والله أعلم عندي وجه التسمية ، لما سمي في الحمل للعرش من الثمانية.

وإنما ضرب الله للعباد الأمثال بما يعرفون من الأشياء ، على قدر ما قد رأوا منها في الدنيا ، التي لم يروا قط شيئا إلا فيها ، ففهمهم الأمثال بها وعليها ، وبالله ـ لا شريك له ـ نستعين على ما أبان وبيّن من قصص آياته وأحاديثها ، وقديم دلائله وحديثها.

ومن ذلك يا بني الأمثال التي مثّلها ، وفصّلها تبارك وتعالى في كتابه ونزّلها ، ما يقول سبحانه : (وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٩)) [القيامة : ٢٩]. لا يتوهم الساق ساق رجل ، أحد ممن له أدنى عقل.

وقال سبحانه : (فَإِذا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (٨)) [المدثر : ٨] ، ولا يتوهم أحد ذلك كالناقور المنقور.

وكذلك قوله جل ذكره : (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ) [الكهف : ٩٩ ، يس : ٥١ ، الزمر: ٦٨ ، ق : ٢٠].

ولا يتوهم بوقا ولا قرنا من القرون ، إلا كل مختل من الناس مجنون.

ومثل ذلك قوله : (عَلى شَفا جُرُفٍ) [التوبة : ١٠٩] ، ولا يتوهمه جرفا من الجرفة ، إلا من لم يهبه الله في ذلك شيئا من الهدى والمعرفة ، وإنما الجرف من الأرض المعروف ، جانب الوادي أو ما كان من الأرض له حروف.

وفي مثل ذلك من الأمثال ، ما تقوله قريش للرسول عليه السلام : (قالُوا قُلُوبُنا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونا إِلَيْهِ وَفِي آذانِنا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنا وَبَيْنِكَ حِجابٌ) [فصلت : ٥]. ولا يتوهم الأكنة أغطية ولا لبسا ، ولا يتوهم الوقر صمما ولا ما ذكره الله من بكم الكفار خرسا ، إذ يقول سبحانه : (صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ (١٨)) [البقرة : ١٨]. ولا الحجاب سترا مضروبا ، ولا بنيانا من الأبنية منصوبا.

وفيما ضرب الله من الأمثال ما يقول سبحانه : (أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها) [محمد : ٢٤]. ولا يتوهم ذلك أقفالا من حديد ، إلا كل أخرق أحمق بليد.

وما في هذا من الأمثال والبيان ، فيما جعل الله للعرب من اللسان ، فيكثر عن الاستقصاء ، والتعديد له والاحصاء ، لا يلتبس ـ والله محمود ـ على من يعقل وإن لبّس وغطّي ، ولا يخفى مخرجه وبيانه إلا على من ضلّ وعمي ، فنعوذ بالله من العمى والضلال ، عما ضرب الله ـ برحمته ـ لنا من الأمثال. فكم من جاهل حائر قد عمي!!

يرى أنه في جهله قد هدي ، أو سامري يقول لا مساس ، لا يعرف البيان ولا الالتباس ، كالبهائم الغافلة المهملة ، التي لا تفرق بين هادية من الأمور ولا مضلة ، فهم كما قال الله سبحانه لقوم يعقلون : (أُولئِكَ كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولئِكَ هُمُ الْغافِلُونَ) [الأعراف : ١٧٩].

09 · De l’entourage des anges à l’allégeance

قلت : فما تأويل : (حَافِّينَ) [الزمر : ٧٥]؟!

فقال : ما حافّون في التأويل إلا كالكرسي والعرش وحملته في التمثيل ، والملائكة ـ يا بني ـ فحافّون يومئذ بمقام الحكم

والتفصيل ، كما قد عرف أهل الدنيا ، أن الملك منهم إذا حكم وقضى ، أحف بعرشه الذي هو الكرسي يوم يحكم ويقضي ، من يختار من أهل مملكته ويرتضي ، فمثّل سبحانه لهم مقام حكمه وفصله ، بما قد عرفوا في الدنيا من مثله ، وليس يتوهم من يعقل العرش والكرسيّ سريرا محمولا ، ولا منبرا منصوبا معمولا.

ومثل ذلك مما يعرف الناس من الأمثال في أمورهم ، قوله سبحانه : (وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزارَهُمْ عَلى ظُهُورِهِمْ) [الأنعام : ٣١] ، فذكر سبحانه ما ذكر في هذا الذكر من الأوزار والحمل ، ولا يتوهم ذلك من له أدنى عقل ، حملا كحمل الأحمال ، على ما يعرف من ظهور الجمال ، ولا كعبء محمول ، ولا كور منقول ، وإنما هو مثل من الأمثال معقول ، تعرفه الألباب والعقول ، وقد علم الناس أن كل عبء أو وزر ، إنما يحمل على عنق أو ظهر.

وكذلك قوله سبحانه : (إِنَّا أَعْتَدْنا لِلظَّالِمِينَ ناراً أَحاطَ بِهِمْ سُرادِقُها) [الكهف : ٢٩] ، ولا يتوهم السرادق كما يعرف في الدنيا من السرادقات ، ذوات الأوتاد والأطناب والرواقات ، إلا جاهل عمي ، أحمق بهميّ.

وكذلك لا يتوهم قول الله سبحانه : (إِنَّ الَّذِينَ يُبايِعُونَكَ إِنَّما يُبايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) [الفتح : ١٠] ، فلا يتوهم أحد له لبّ أن ما ذكر الله من ذلك منهم وفيهم ، على أن لله يدا ذات بنان مصافحة للمبايع رسوله ، صلى الله عليه وآله.

ولا يتوهم قوله سبحانه : (قاتَلَهُمُ اللهُ) [التوبة : ٣٠ ، المنافقون : ٤]. على ما يعرف من المقاتلة ، التي تكون بين المقتتلين عند المواثبة والمصاولة.

ولا يتوهم قوله سبحانه : (* إِنَّ اللهَ اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ) [التوبة : ١١١]. ولا قوله : (فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بايَعْتُمْ بِهِ) [التوبة / ١١١] ، ولا ما جرى في البيع والشراء من هذا ومثله ، على ما يعرف من المتبايعين ، والمشترين والبائعين ، في معاني المبايعة ، والشراء والمساومة ، كيف يكون ذلك وما اشترى سبحانه منهم من أنفسهم وأموالهم ، فهو له تبارك وتعالى لا لهم ، فهل يعرف أن مشتريا يشتري ما هو له؟! إلا الله ـ بكرمه ـ جل جلاله!!

وكذلك لا يتوهم قوله سبحانه لنوح صلى الله عليه : (وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنا وَوَحْيِنا) [هود : ٣٧]. ولا قوله : (خَلَقْنا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينا) [يس : ٧١]. على أن لله تبارك وتعالى أعينا. ولا

أيديا كثيرة ، ولا كما تعرف الأعين كبيرة ولا صغيرة ، وأيدي ذوي الأيدي كلهم من الآدميين طويلة أو قصيرة ، ولا يعرف الناس الأعين والأيدي إلا ما كان كبيرا ، ولا أن شيئا من الأيدي يكون أبدا إلا طويلا أو قصيرا ، ولا يعرف الناس أجمعون ، فيما رأوا ولا فيما يصفون ، أن شيئا من ذلك ، يكون أبدا إلا كذلك ، ولكنها أمثال مثلها تبارك وتعالى لعباده بما يعرفون ، ليس في شيء منها تشبيه لله بما يقول الجهلة بالله ويصفون.

10 · Entourer, parler et se manifester

والإحفاف يا بني فهو الإحاطة ، والإحاطة فهي الإحداق والإدارة ، وفي إحاطة الله بالأشياء كلها ، من أواخر الأشياء وأوائلها ، ما يقول سبحانه : (إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ) [فصلت : ٥٤]. (وَاللهُ مِنْ وَرائِهِمْ مُحِيطٌ (٢٠)) [البروج : ٢٠]. والمحيط من الأشياء بما يحيط به ، فهو المحفّ المحدق بجميعه ، المدير بكل ناحية من نواحيه ، من جوانبه كلها ومن خلفه ومن بين يديه ، ولا يتوهم إحاطة الله ـ تعالى ذكره ـ بالأشياء كذلك ، والعرش والكرسي وحمله والإحفاف به فمثل ذلك ، ولا يتوهم كما يعاين ويرى ، من أمور أهل هذه الدنيا ، وإنما إحاطة الله بالأشياء قدرته عليها ، وسلطانه جل ثناؤه فيها ، لا يتوهم ذلك من الله العزيز

الخلاق ، كما تعرف به الأشياء من الإحفاف والإحداق ، الذي يكون من الأشياء ، ويرى من أهل هذه الدنيا ، تقدس الله وتعالى ، عن أن يكون شيء له مثالا.

وكذلك قوله سبحانه : (وَكَلَّمَ اللهُ مُوسى تَكْلِيماً) [النساء : ١٦٤] ، (فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا) [الأعراف : ١٤٣] ، (وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢)) [الفجر : ٢٢]. فلا يتوهم في ذلك كلامه ، من قرّر في قلبه توحيده وإعظامه ، ككلام الإنسان ، بشفتين ولسان ، ولا يتوهم ـ تجلّيه للجبل كتجلّي ما نرى ، من تجلّى أهل هذه الدنيا ، إلا من لم يكن به تباركت أسماؤه وتعالى عارفا ، ولا له بما وصف به نفسه من الوحدانية واصفا ، ولا يتوهم مجيئه مجيء غائب ، ولا كمجيء ماش ولا راكب ـ إلا من لم يكن مؤمنا ، ولا بوحدانيته ولا بربوبيته موقنا.

وكذلك فينبغي لمن علم أو جهل ، أن يتوهم الكرسي والعرش والإحفاف والحمل ، على خلاف ما يعرف من الأشياء كلها ، لفرق ما بين الأشياء وجاعلها ، في كل صفة ومعنى من معانيها ، وكلما يعرفه عارف فيها. وبذلك ـ والله محمود ـ بان توحيده ، ووجب على العباد تمجيده ، ومن التبس عليه ذلك التبس عليه التوحيد ، ولم يصح منه لله جل جلاله تمجيد ، وكان بالله سبحانه جاهلا ، وفي ادعائه لتوحيد الله مبطلا.

ومما ضرب الله سبحانه في كتابه من الأمثال ، قوله سبحانه : (وَكُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ) [آل عمران : ١٠٣] ، ولا يعرف أحد الحفرة ، إلا محفورة منقعرة ، وقد جاز في ذلك ما نزل الله سبحانه من المثل ، وقد يجوز مثل ذلك في الكرسي والعرش والإحفاف والحمل ، لا يأبى ذلك ـ إن شاء الله ـ ولا يجهله ، من يعرف لسان العرب ولا من يعقله ، وقد تدعا من الحفرة شفا ، وما كان منها ولها حرفا ، وعليها من فمها مشرفا ، فهل كان من المؤمنين الأتقياء البررة؟! أحد على فم ما ذكرنا من هذه الحفرة!!!

وكذلك قوله سبحانه : (وَرَبَطْنا عَلى قُلُوبِهِمْ إِذْ قامُوا فَقالُوا رَبُّنا رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَا مِنْ دُونِهِ إِلهاً لَقَدْ قُلْنا إِذاً شَطَطاً (١٤)) [الكهف : ١٤]. ولا يتوهّم ـ والحمد لله شيئا من ذلك كله عقدا ولا ربطا ، مربوطة ولا معقودة ، مقصرة ولا ممدودة ، ولا يتوهم منها رباطا واحدا ، ـ إلا من لم يهبه الله في ذلك هداية ولا رشدا ، وما من هذا في القرآن ، وفيما للعرب من اللسان ، فيكثر عن أن نذكره كله ، والحمد لله لا شريك له ، ولو لا كراهتنا للتكثير والتطويل ، لذكرنا بعض ما قالت العرب في ذلك من الأقاويل ، وسنذكر إن شاء الله بعض ما نزل الله

سبحانه في ذلك تنزيلا ، وبعض ما قالت العرب في الجاهلية والإسلام تمثيلا.

11 · Lumière, labour et balance

فمن أمثال الله سبحانه في ذلك البينة النّيرة ، وأقواله جل ثناؤه المقوّية فيه للعلم والبصيرة ، قوله : (لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ) [الأحزاب : ٤٣ ، الحديد : ٩]. وليس يتوهم الظلمات ليلا أسود ولا مثله ، إلا من لا عقل له ، ولا يتوهم ما ذكر الله من النور شمسا ولا قمرا ، إلا من لم يجعل الله له لبا ولا فكرا.

ومن ذلك قوله سبحانه : (وَكَذلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا) [الشورى : ٥٢]. ولا يتوهم الروح كأرواح البشر ، إلا من لم يعمر الله قلبه بضياء ولا بصر.

ومما ضرب الله من الأمثال ، وما يفهم بها وفيها من المقال ، قوله سبحانه : (مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها وَما لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ (٢٠)) [الشورى : ٢٠]. فدعا تبارك وتعالى ذلك كله حرثا وسمّاه ، ولم يرد بذلك سبحانه الحرث الذي نعرفه نحن ونراه ، من حرث الأرض الذي لا يكون حرثا عند من لا يعقل سواه ، وقد عرفنا بمنّ الله ما أراد بذلك وعناه.

وكذلك الكرسي والعرش والحمل فقد علمنا ، أنه ليس يشبهه بما يفنى ، وأن لله في ذلك كله الأسماء الحسنى ، والمباينة للخلق من المشابهة له في كل معنى.

ومن الأمثال أيضا التي لا تخفى ، إلا على من جهل من الناس وجفا ، قوله سبحانه: (لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا بِالْبَيِّناتِ وَأَنْزَلْنا مَعَهُمُ الْكِتابَ وَالْمِيزانَ) [الحديد : ٢٥]. وإنما معنى الميزان : معنى القضاء والفصل ، وما حكم به بين عباده من العدل.

ومثل ذلك يقول أرحم الراحمين ، وأحكم الحاكمين : (وَنَضَعُ الْمَوازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كانَ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنا بِها وَكَفى بِنا حاسِبِينَ (٤٧)) [الأنبياء : ٤٧]. ولا يتوهم الموازين ذات كفف ، ولا الوزن وزنا بالأيدي والأكف ، إلا كل بائر ، عم جائر ، وكلما ذكر الله من ذلك فبيّن والحمد لله معروف ، لا يعمى عنه ولا يعتسف العلم فيه إلا عسوف .

ومن الأمثال التي لم تزل تمثلها العرب حديثا وقديما ، لا يجهل ما تريد بها إلا من كان من معرفة لسانها عديما ، قول زهير بن أبي سلمى ، في الجاهلية الجهلاء :

..... ما عضنى الدهر إلا زادني كرما

ولا يتوهم العض إلا لما كان فما.

12 · Le temps, la montagne et la guerre chez les poètes

وقالت الخنساء :

تعرّقني الدهر نهشا وحزا وأوجعني الدهر قرعا وغمزا

ولم ترد خنساء أنه ينهش بفم ولا ناب ، ولا يتوهم ذلك أحد من الحمقاء فضلا عن ذوي الألباب ، ولا يتوهم الحز ولا الغمز بكف ذات أصابع ، ولا القرع بقرع من مقارع.

وقالت هند بنت عتبة ترثي أباها :

وكان لنا جبلا راسيا طويل المزاد كثير العشب

وقال بعض الشعراء بعد الإسلام :

معن بن زائدة الذي زيدت به شرفا على شرف بنو شيبان جبل تلوذ به نزار كلها صعب الذرى متمنع الأركان

وقد علم أنه ليس أحد من الرجال ، بجبل مما يعرف من الجبال ، ولما جعلوه جبلا وصفوه بما يمكن من صفة الجبل في العشب والمرعى ، وتمنّع الأركان وصعوبة الذرى ، وجاز ذلك كله عندهم في المثل ، وكذلك فقد يمكن مثل ذلك في العرش وما ذكر من الحملة له والحمل.

وفي ضرب الأمثال ، وما يجوز منها في المقال ، ما يقول امرؤ القيس بن حجر :

أميمة إن الدهر في وثباته أصاب جيادا نابه ومخالبه

وليس أحد عقل أو لم يعقل من الناس ، يتوهم أن الدهر ذو مخالب ولا أنياب ولا أضراس.

وقال ابن ميادة :

فإن يك ظني صادقى وهو صادقى بعبس يكن بالمشرفي عتابها ويحتلبوها أم سقبين لاقحا عنيفا بأيدي الحالبين احتلابها

يريد بقوله الحرب ، وقد علم أن كل حرب ليست تلقح بسقبين ولا سقب ، ولا بذات درّ ولا حلب. والسقب فهو ولدها إذا كان صغيرا ، والحلب فهو لبنها قليلا كان أو كثيرا ، وقد علم أن هذا كله لا يتوهم فيها ولا عليها ، وقد جاز أن ينسب كما ترى في الأمثال إليها.

وكذلك قال النميري :

وحرب قد حلبناها صراها وحرب قد حلبناها علالا إذا لبست عوان الحرب جلّا كشفنا عن مشاعرها الجلالا

والمشاعر : هي القوائم. والصرا : هو جمع اللبن في الضرع حينين ، والعلال : فهو حلب اللبن في كل حين.

وقد قال زهير في الحرب :

فتعرككم عرك الرحا بثفالها وتلقح كشافا ثم تحمل فتتئم فتنتج لكم غلمان أشأم كله كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم

وقد علم أن الحرب لا تلقح ولا تتأم ، ولا تنتج ولا ترضع ولا تفطم ، وقد جاز ما قال كله في الأمثال ، وكان القول به عند العرب من أصح المقال.

13 · La maison, le pavillon et la bannière

وفي مثل ذلك من المثل ، ما يقول :

وهم حملوا المئين فلم تؤدهم .....

ولا يعرف الحمل ، المحمول إلا كما يحمل الحاملون.

وقال زهير أيضا :

وما إن بيتهم إن عد بيت فطال السمك واتسع البناء فأما أسه فعلا قديما على الأحساب إذ رفع النماء

ولم يرد ببيتهم بيتا من مدر ولا شعر ، ولا بأسه أسّا من صخر ولا حجر.

وقال ابن ميادة :

لنا قبة في المجد خضراء ضخمة تبذ القباب ذات موج وساحل
لنا راية فوق السماء كأنها زبيبة وكر روّقت فوق حامل

وليس يتوهم ما ذكر من القبة قبّة ذوات عوارض مشبكة ، ولا أنها قبة مصبوغة بخضرة ولا ملككة . فيا ويل من شبه الله جل ثناؤه ، وتباركت بقدسه أسماؤه ، في ذاته ومعرفته ، أو في شيء من صفته ، من كرسي أو عرش ، أو أخذ أو بطش ، بخلقه المفتطر المجعول ، من محمول أو غير محمول ، وجل الله سبحانه عن أن يقع عليه بذلك قول ، أو تعتقد مشابهته في شيء من ذلك كله العقول.

وقد قال أيضا ابن ميادة :

هم الهامة العلياء والذروة التي تقصر عنها سطوة المتطاول

وقد علم أن هذا مثل لا يجهله إلا كل عميّ جاهل.

14 · Venir et s’établir sur le Trône

وسألت : أبي رحمة الله عليه عن تأويل (وَجاءَ رَبُّكَ) [الفجر : ١]. و (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ) [البقرة : ٢٠٣]. و (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ) [الأنعام : ١٥٨]؟

فقال : تأويل ذلك كله مجيء آيات الله وحكمه ، وإتيان أمر الله من رحمته أو نقمه.

ومثل ذلك في المجيء قوله : (وَلَقَدْ جِئْناهُمْ بِكِتابٍ فَصَّلْناهُ) [الأعراف : ٥٢].

وفي الإتيان قوله : (فَأَتَى اللهُ بُنْيانَهُمْ مِنَ الْقَواعِدِ) [النحل : ٢٦]. ولا يتوهم مجيء الله وإتيانه ، جل جلاله وتعالى شأنه ، مجيئا من مكان إلى مكان ، ولا إتيان رؤية ولا عيان ، ومن قال ذلك أو ظنه فثبته في نفسه ، خرج بذلك صاغرا من توحيد ربه ، والحمد لله رب العالمين كثيرا ، وصلى الله على محمد وأهله وسلم تسليما.

وسألته : عن تأويل قول الله جل جلاله : (الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ وَما بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ) [الفرقان : ٥٩ ، السجدة : ٤]. ما وجه استوى؟ وما معناه ؟

فقال : تأويله : ملكه للأشياء وارتفاعه عليها واعتلاه ، كما يقول القائل : استوى فلان على ملك فلان فاستوى ، يريد ملك ما كان يملك فلان كله سواء.

وكذلك يقول إذا ملك ملكه قعد على عرش فلان وجلس ، وليس يريد أن عرشه مقعد له ولا مجلس ، وقد يكون العرش لكل شيء سقفه وأعلاه ، كما جعل الله أعلا ما خلق من السماوات منتهاه ، فأي هذا كله قال به في مثل استوى على العرش قائل ، لم يخط في تأويله به قائل ولا متأول.

فأما ما يذهب إليه الجاهل ، من أن العرش لله مقعد وحامل ، تحيط به أقطاره ، وتحويه أقداره ، فلا يجوز في الألباب ، تأويله على رب الأرباب ، ومن تأوّل ذلك في الله ، فهو من الجاهلين بالله ، فنعوذ بالله من الجهل به وبجلاله ، ومن القول بذلك فيه وأمثاله ، وحسبنا الله لا إله إلا هو عليه توكلنا وهو رب العرش العظيم.

وإذا كان العرش كما قال الله مربوبا وكان الله له ربا مبتدعا ، لم يخل من أن يكون لله خلقا وصنعا ، وإذا كان ذلك كذلك ، وعلى ما يقول الجهلة في ذلك ، كان الله قبله ، وكان الله إذا لم يكن العرش قديما ولا عرش له ، فدخل عليهم في ذلك ما أخزاهم ،

وبيّن جهلهم فيه وعماهم ، وأظهر كذبهم فيه وافتراهم ، وقلة رشدهم فيه وهداهم. والحمد لله رب العالمين على ما بيّن من عماية العمين ، وتولى من هداية المهتدين.

15 · Les dernières comparaisons et la prière

وفي مثل ذلك من الأمثال ، وما يراد به غيره من المقال ، ما يقول الأول :

وإنا لتستحلي المنايا نفوسنا وتترك أخرى مرّة ما

وقد يعلم أن المنايا لا تستحلى ولا تستمر ، وأن النفوس لا تحلو في ذوق ولا تمرّ.

وقوله :

وشيّب رأسي قبل حين مشيبه رعود المنايا فوقه وبروقها

وقد يعلم أن المنايا لا ترعد ولا تبرق ، ولا يتوهم ذلك إلا كل أخرق وأحمق ، وأن الرعود والبروق إنما تكون بالسحاب ، إلا أن مقاله في ذلك مثل يجوز في التبيين والإعراب.

وكذلك قوله :

لنا نبعة كانت تقينا فروعها فقد ذهبت إلا قليلا عروقها

والنبعة شجرة صلبة يمانية ، يعمل من قضبانها هذه القسي العربية ، وقد علم كل صحيح العقل ذي سمع ، أنه لم يرد بقوله هذا نبعة من شجر النبع.

ومثل ذلك قول الحطيئة في آل لأي من طيئ وهو يمدحهم :

هل لي ذنب بأن أعيت معاولكم من آل لأي صفاة أصلها راسى

ولا يتوهم أحد أنها صفاة من الصفيّ ، إلا كل جلف من الناس جافي ، ولا يتوهم معاولهم من حديد ، إلا كل أحمق من الخلق بليد ، وقد علم من نوّر الله قلبه ، وعرف الله ربه ، أن العرش والكرسي ليسا مما ذهب إليه المشبهون لله بما صنع ، وبعض ما خلق من خلقه وابتدع ، سبحانه وتعالى عن ذلك ، وعن أن يكون كذلك ، وهل يمكن في وهم أو حقيقة حق ، أن يكون الخالق أبدا كشيء من الخلق؟! أو لم يسمع من توهم ذلك أو ظنه ، قاتله الله ما أضل وهمه وظنه ، قول الله العليم الخبير : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) [الشورى : ١١]. وقوله سبحانه : (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ (٤)) [الإخلاص : ٤]. والكفؤ فهو المثل والنظير ، فتعالى من لا نظير له ولا مثل ، ولا كفؤ له ولا عدل ، الذي كل موجود سواه فخلقه وصنعه ، والله فخالق ذلك

كله ومبتدعه ، كبيره في صنع الله كصغيره ، وأوله في أنه صنع لله كأخيره ، لا ينكر ذلك ولا يجهله ، إلا من جهل الله جل جلاله.

وقد قال العماة والجاهلون ، الذين لا يفهمون ولا يعقلون : إن الله خلق آدم على صورة نفسه ، وإنه يضحك حتى تبدو نواجذه . ونواجذ الإنسان أنيابه التي جنب أضراسه ، فشبهوه في ذلك وغيره ـ تعالى قدسه ـ بالناس ، وزعموا أن علمه وإدراكه لما علم وأدرك إنما هو بالحواس ، فقالوا : إن علمه ودركه لما يرى ويبصر إنما هو بالبصر ، وإن سمعه لما يسمع كما يعقل من سمع البشر ، ومن قال بذلك في الله ، فقد برئ من المعرفة بالله ، فنحمد الله على ما هدانا له من معرفته ، وأبان بالبرهان النير من فرق ما بين صفات الخلق وصفته ، ونستعين بالله في ذلك على واجب شكره ، ونعوذ به فيه من الضلال عن أمره . والحمد لله.

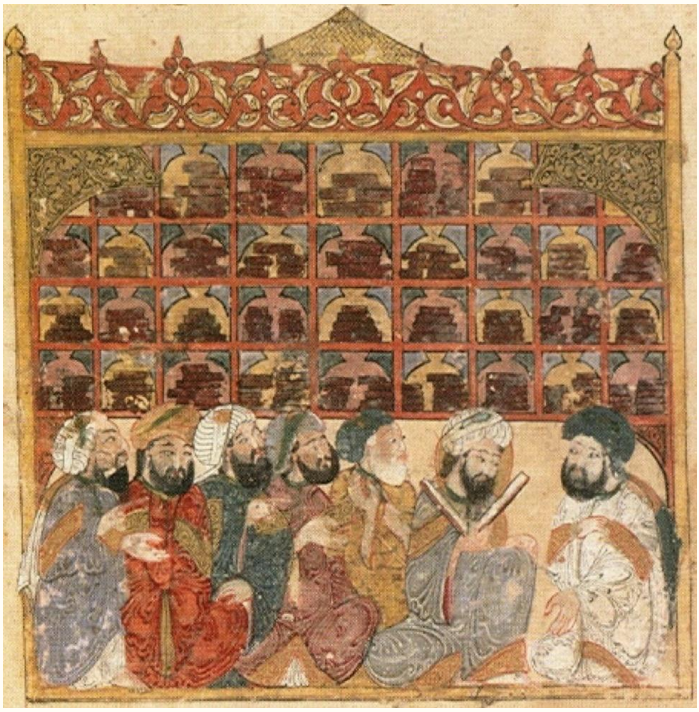
DEUXIÈME PARTIE

Traduction française
الترجمة الفرنسية

01 · La question adressée au père

Description du Trône et du Siège et leur interprétation. Audition de ʿAlī b. Muḥammad b. ʿAbd Allāh auprès d'al-Ḥasan b. al-Qāsim, que Dieu l'agrée. Au nom de Dieu, le Tout-Compatissant, le Miséricordieux. Louange à Dieu en toute circonstance. ʿAlī b. Muḥammad a dit qu'al-Ḥasan b. al-Qāsim lui avait rapporté d'al-Ḥusayn b. al-Qāsim, que Dieu l'agrée, le récit suivant. « J'ai interrogé mon père, que Dieu lui fasse miséricorde et l'agrée, sur l'interprétation du Siège et du Trône dont parle Dieu, gloire à Lui. »

Il répondit. « Tu m'interroges, mon fils. Que Dieu te donne l'intelligence. Sache donc et comprends. La première chose à apprendre de ta question est d'écarter de ton esprit et de ton entendement toute pensée qui te viendrait au cœur ou à l'imagination et te ferait assimiler Dieu, sous quelque rapport, à l'une de ses créatures, ou égaler à Dieu quoi que ce soit qu'il ait fait. Grand ou petit, en faible ou forte mesure, c'est tout un. Voilà, mon fils, le premier fondement de l'affirmation de l'unicité de Dieu, le propos vrai, sain et recevable que l'on tient sur Lui. Qui prétend autre chose sur Dieu profère un mensonge et mérite, par son dire, les noms d'ignorant de Dieu et d'associateur. Quiconque imagine pareille chose de Dieu sort de l'enseignement révélé sur son unicité dans le Coran, dans la Torah, dans le Psautier et dans l'Évangile. Le sens de ce que tu demandes est, Dieu soit loué, parfaitement clair pour celui à qui Dieu le fait comprendre. Il ne s'obscurcit que pour celui qui s'est lui-même jeté dans la confusion et que Dieu, béni et exalté soit-Il, abandonne, humilié, à son trouble. Le chemin de cette connaissance est lumineux et, par la grâce de Dieu, aucune créature pure et agréée ne l'ignore. »



Une séance de lecture dans une bibliothèque des Maqāmāt. Cette miniature irakienne est postérieure au dialogue entre al-Qāsim et son fils.
Yaḥyā al-Wāsiṭī, Maqāmāt d'al-Ḥarīrī, 634 H / 1236–1237. Paris, BnF, Arabe 5847, f. 5v.

02 · L'Un, ses attributs et les paroles des envoyés

En témoigne cette parole de Dieu, dont la majesté dépasse tout ce qu'une parole saurait embrasser ou atteindre. « Rien n'est pareil à Lui. Il entend et Il voit » (42, 11). « Les regards ne Le saisissent pas et Lui saisit les regards. Il est le Subtil, l'Informé » (6, 103). « Dieu, il n'est de divinité que Lui, le Vivant, Celui qui subsiste. Ni somnolence ni sommeil ne Le prennent » (2, 255). Il exclut de Lui le moindre assoupissement comme le sommeil profond. Il se déclare au-dessus de toute ressemblance avec quoi que ce soit, dans les grandes choses comme dans les petites. Le Vivant est Celui que ni l'éternité ni le temps ne changent. Celui qui subsiste demeure sans qu'aucune altération ou transformation L'atteigne. Il a de même dit à son envoyé, sur lui et sa famille la bénédiction de Dieu. « Dis. Lui est Dieu, Un. Dieu est Celui à qui l'on s'adresse » (112, 1–2), puis, à la fin de la sourate, « Nul n'est son égal » (112, 4). Al-Ṣamad désigne Celui au-delà du-

quel il n'y a personne à qui s'adresser, nul appui à rechercher et nul degré plus élevé de majesté ou de grandeur. L'Un est l'unique qui n'est pas deux choses, deux parties ou deux réalités d'un autre ordre. On ne conçoit jamais en Lui deux réalités distinctes dont l'une serait une partie différente de l'autre, toutes deux séparées et dissemblables.

De deux parties supposées, chacune aurait ou bien sa puissance propre, ou bien une puissance inférieure à celle de l'autre. Impuissante, elle ne serait ni seigneur ni forte. Également puissante, elle égalerait l'autre en seigneurie. Il y aurait ainsi deux seigneurs, deux divinités égales. On sortirait de l'affirmation de l'unicité de Dieu et du caractère exclusif de la seigneurie qu'Il s'attribue. En leurs propos Il cesserait d'être un seul Dieu et deviendrait une multiplicité. Parmi les signes qui guident vers la vérité et éloignent de toute ressemblance entre notre Seigneur et la création, il y a sa parole. « Il est le Premier et le Dernier, l'Apparent et le Caché. Il connaît toute chose » (57, 3). Quelle chose pourrait ressembler à Celui qui est premier et dernier, apparent et caché ? Quel esprit droit ou quelle conscience pourraient l'admettre de Celui qui est toujours ainsi ? Dans les choses, le premier diffère toujours du dernier et l'intérieur de l'extérieur. Ce que Dieu dit suffit à établir que rien de tout ce qui existe n'est pour Lui un semblable ou un équivalent. Il dit encore. « Il est Dieu. Il n'est de divinité que Lui, qui connaît l'invisible et le visible. Il est le Tout-Compatissant, le Miséricordieux. Il est Dieu. Il n'est de divinité que Lui, le Roi, le Très-Saint, la Paix, Celui qui donne sécurité, le Gardien, le Puissant, le Contraignant, le Superbe. Gloire à Dieu au-delà de ce qu'ils Lui associent. Il est Dieu, le Créateur, Celui qui donne l'existence et les formes. À Lui les plus beaux noms. Ce qui est dans les cieux et sur terre Le glorifie. Il est le Puissant, le Sage » (59, 22–24). Il se fait ainsi connaître comme étant Lui-même, sans pareil ni égal.

Tous ses envoyés qui L'ont connu ont tenu le même langage lorsqu'on les interrogeait sur Lui, qu'ils Le décrivaient ou qu'ils guidaient vers Lui celui qui L'ignorait. Abraham, son ami, la paix sur lui, dit à ceux de son peuple qui L'ignoraient, s'écartaient de Lui ou disputaient à son sujet. « J'ai tourné mon visage vers Celui qui a fait surgir les cieux et la terre » (6, 79). Lorsque Dieu lui eut donné de Le connaître, il dit encore à son peuple. « Avez-vous considéré ce que

vous adoriez, vous et vos pères d'autrefois ? Ils sont mes ennemis, sauf le Seigneur des mondes, qui m'a créé et me guide, qui me nourrit et me donne à boire, qui me guérit lorsque je suis malade, qui me fait mourir puis me rend la vie, et dont j'espère qu'Il me pardonnera ma faute au Jour de la rétribution » (26, 75–82). Noé, avant lui, que Dieu le bénisse ainsi que tous ses envoyés, avait dit. « Ô mon peuple, pourquoi n'attendez-vous de Dieu aucune grandeur, alors qu'Il vous a créés par étapes ? Ne voyez-vous pas comment Dieu a créé sept cieux superposés, y a placé la lune comme lumière et fait du soleil un luminaire ? Dieu vous a fait pousser de terre comme une plante, puis Il vous y ramène et vous en fera ressortir. Dieu a fait de la terre un tapis pour vous, afin que vous y suiviez de larges chemins » (71, 13–20). Il y a bien d'autres paroles de Noé qui font connaître Dieu à celui qui L'ignore. La moindre apporte, Dieu soit loué, lumière et claire direction à celui qui croit avec certitude.

Moïse parle de même à Pharaon qui s'insurge et s'aveugle. « Qui donc est votre Seigneur à tous deux, ô Moïse ? » (20, 49). Il répond. « Notre Seigneur est Celui qui a donné à chaque chose sa constitution, puis l'a guidée » (20, 50). Ailleurs, dans leur échange sur Dieu, Pharaon demande ce qu'est le Seigneur des mondes. Moïse répond. « Le Seigneur des cieux, de la terre et de ce qui est entre eux, si vous en avez la certitude. » Pharaon dit à son entourage. « N'entendez-vous pas ? » (26, 23–25). À ceux qui reprennent sa question Moïse répond. « Votre Seigneur et celui de vos premiers pères » (26, 26). Pharaon dit alors aux siens. « Votre envoyé, celui qui vous a été envoyé, est assurément fou » (26, 27). Moïse leur dit à tous. « Le Seigneur du levant, du couchant et de ce qui est entre les deux, si vous raisonnez » (26, 28). Il leur indique Dieu par son œuvre et ses actes. Aucun des envoyés ne Le fait connaître par des traits physiques ou un signalement, une image ou une figure. Si, comme le disent ces aveugles égarés qui ne comprennent ni ne savent, Dieu avait la forme d'Adam, cette forme serait de chair et de sang. Ceux qui Le connaissent l'auraient nommé et dépeint par sa forme, son apparence et ses traits. De même, pour Le décrire en vérité par son œuvre et par sa création, les envoyés de Dieu ont dit aux peuples auxquels Il les adressait et qui, dans le doute et la perplexité, ne voyaient pas ce qu'on leur faisait voir de Lui. « Y a-t-il un doute au sujet de Dieu, qui a fait surgir les cieux et la terre ? » (14, 10). Ni Dieu ni ceux qui Le connaissent ne Le font connaître par

des traits, une image ou une figure que l'on pourrait décrire. Lui-même et ses envoyés renvoient à sa création, à ce qu'Il a fait surgir et aux traces qu'on y voit de sa majesté, de sa grandeur et de sa puissance.

03 · Du Psautier à la question des formes

Que celui à qui cela ne suffit pas pour connaître Dieu ne soit jamais satisfait, et que celui que ses éclaircissements ne guérissent pas ne trouve point de guérison. À propos des signes qu'Il a exposés, Il a parlé aux croyants et de ceux qui ne savent pas. Ces derniers disent. « Pourquoi Dieu ne nous parle-t-Il pas, ou un signe ne nous vient-il pas ? Ceux qui les ont précédés ont parlé comme eux. Leurs cœurs se ressemblent. Nous avons rendu les signes clairs pour des gens qui ont la certitude » (2, 118). Demandons à Dieu de nous faire profiter de ses explications et du discernement qu'Il a révélé. Les paroles suivantes de David dans le Psautier apportent aussi clarté et lumière. « Gloire à Dieu, le Très-Saint, le Très-Haut. Psalmodiez ses plus beaux et plus hauts noms. L'Élu d'Israël fait ce qu'Il veut dans les mers, sur la terre et au ciel. Dans sa miséricorde Il fait naître les nuages, fait l'éclair et les vents qui soufflent. Il a noyé Pharaon et ses armées dans la mer, manifesté en Égypte ses signes étonnants, tué des rois tyranniques, le roi des Mūrāsir et le roi de Nīsān, et tous les rois rebelles des fils de Canaan. Il a donné en présent leurs terres à Israël, don bienfaisant. » L'Évangile abonde lui aussi, Dieu soit loué, en paroles écartant toute ressemblance entre Dieu et sa création. Si nous ne craignions de grossir et de prolonger cet écrit, nous en citerions, si Dieu le veut, quelques explications. Dans la Torah, à suivre ses interprètes, la parole de Dieu, incomparable, la plus vraie qui soit et la plus excellente, s'adresse à Moïse dans le secret de leur entretien lorsqu'il vient à Lui. « Ô Moïse, Je suis Dieu », répété deux fois, pour mieux se faire connaître et donner plus de clarté, « ton Dieu et le Dieu de tes pères Abraham, Isaac et Jacob ». Il lui fait connaître son unicité et sa divinité de façon à en exclure tout partage avec un être soumis à sa seigneurie.

Entends-tu jamais Dieu ou un de ses envoyés décrire Dieu en termes de largeur et de hauteur ? Lui-même, ses envoyés et ses prophètes Le décrivent par l'unicité, la puissance et la majesté. Ils ne Lui prêtent ni beauté de forme, ni ap-

parence ni traits gracieux. Une forme, mon fils, exige toujours un artisan qui la façonne, et la mesure et l'agencement qu'on y observe exigent quelqu'un qui en détermine les proportions et l'ordonne. Gloire à Celui qui crée et façonne sans avoir été créé ni façonné, qui mesure et ordonne sans avoir été mesuré ni ordonné. Dieu, Seigneur des mondes et le plus généreux des généreux, est au-dessus des formes humaines et de toute ressemblance avec les créatures. Comment le Créateur pourrait-Il, en quoi que ce soit, être comme sa créature, ou la créature comme son Créateur ? La raison, mon fils, ne saurait l'admettre du Dieu des dieux et Seigneur des seigneurs. Dieu s'est-Il jamais fait connaître à une créature par des traits physiques ? Jamais on ne trouvera en Lui pareille chose. Qui Le connaît ne Le connaît qu'un, unique, sans côtés ni extrémités, sans disparité entre ses attributs. Tous indiquent un seul et même être, que l'on ne connaît par aucune figure, aucun signalement ni aucun nombre, sans rival qui L'égale ni contraire qui Le combatte. Des signes de sa majesté se trouvent dans son œuvre et ses actes en un nombre que Lui seul peut compter. Qui serait sourd et aveugle devant ce spectacle, sinon celui qui n'écoute ni ne voit avec son cœur ? Louange à Dieu qui nous a accordé cette direction et nous a fait discerner, par sa miséricorde, l'égarement de ceux qui se perdent.

04 · La royauté, le Siège et le langage des exemples

[Le sens du Trône et du Siège.] Comprends donc, et que Dieu nous fasse profiter, toi et moi, des explications qu'Il nous a fait entendre. Tu m'as interrogé sur le Siège et le Trône dont Dieu fait mention. Pour qui croit en Lui, leur interprétation est du même ordre que celle de sa prise et du coup dont Il frappe. Dans leur principe comme dans leurs ramifications, tous ces mots disent sa royauté, sa domination irrésistible, son autorité et sa puissance. Personne ne les partage avec Lui ni ne possède sur Lui royauté ou autorité. N'entends-tu pas sa parole ? « Son Siège s'étend aux cieux et à la terre, et leur garde ne Lui pèse pas » (2, 255). Ya'ūduhu signifie « lui peser ». Garder les cieux et la terre qu'Il possède ne Lui pèse pas. Ainsi faut-il comprendre « Le coup de ton Seigneur est terrible. C'est Lui qui commence et recommence » (85, 12–13), et « le jour où Nous porterons le grand coup » (44, 16). La grandeur de ce coup n'évoque ni longueur ni largeur

mesurable. On ne conçoit ni la prise ni le coup de Dieu à la manière des humains avec leurs doigts et leur paume. On ne prêtera donc au Siège et au Trône ni pieds, ni milieu, ni bord. N'entends-tu pas « Son Trône était sur l'eau » (11, 7) ? Cela veut dire que sa royauté s'exerçait sur l'eau, comme, après la création du ciel, son Trône, qui est sa royauté, s'exerçait sur le ciel. Il dit encore que son Siège s'étendait aux cieux et à toute la terre. Il ne dit pas avoir fait du Siège un emplacement pour eux. Il dit qu'ils sont tous compris en lui, sans dire que Lui-même soit en eux. Le Siège désigne donc précisément sa garde et sa royauté, bien autrement que ne le conçoit celui qui s'aveugle devant la révélation et ses explications. Dieu mentionne le Siège et le Trône pour indiquer aux serviteurs ce que nous avons dit, si Dieu le veut, de l'un et de l'autre.

Dieu instruit ses serviteurs et, dans bien des signes révélés, leur indique la bonne voie au moyen des exemples et des comparaisons qu'Il cite par miséricorde. Les exemples qui représentent les choses, leurs branches et leurs racines, ne sont pas les choses elles-mêmes ni les objets mêmes qu'ils figurent. Ce sont des ressemblances et des correspondances que discerne celui qui les médite avec l'aide de Dieu. Des exemples qu'Il propose pour guider les croyants dans leur réflexion, Il dit. « Dieu n'a pas honte de prendre pour exemple un moustique ou ce qui le dépasse. Ceux qui croient savent que c'est la vérité venant de leur Seigneur. Ceux qui refusent de croire disent "Qu'a voulu dire Dieu par cet exemple ?" Par lui Il en égare beaucoup et en guide beaucoup, mais Il n'égare par lui que les pervers » (2, 26). Seul celui qui craint Dieu trouve cette voie, comme Il le dit. « Alif, lām, mīm. Ce Livre, aucun doute en lui, est un guide pour ceux qui craignent Dieu » (2, 1–2). Aucun homme de piété et de discernement ne doute du Livre, Dieu soit loué. Louange abondante au Seigneur des mondes pour la lumière dont son Livre éclaire le chemin de ceux qui Le craignent. Du Coran qu'Il a révélé, Il dit encore. « Nous avons proposé aux hommes dans ce Coran toutes sortes d'exemples, afin qu'ils se souviennent » (39, 27). « Ces exemples, Nous les proposons aux hommes. Seuls les savants les comprennent » (29, 43). Le même raisonnement peut s'appliquer au Siège, au Trône, à la prise et au coup que Dieu s'attribue. Dans les moindres détails comme dans les plus importants, il écarte toute ressemblance avec les petites et grandes créatures. Il fait de même pour les attributs qu'Il mentionne de Lui-même, écartant toute

ressemblance avec les djinns ou les hommes. Il se dit « informé et voyant » (42, 27), sans être assimilé aux créatures qui s'informent et voient. On Le dit grand et puissant sans Le comparer aux choses grandes en longueur ou en largeur ni aux êtres doués de puissance. « Glorifie le nom de ton Seigneur, l'Immense » (56, 74 et 96 et 69, 52). « Au nom de Dieu, le Tout-Compatissant, le Miséricordieux. » Son immensité ne se mesure à la taille d'aucun corps. Sa compassion, Lui le plus miséricordieux des miséricordieux, ne s'assimile à celle d'aucun humain compatissant. Celui qui imagine Dieu ainsi et le croit compte, dans son abaissement, parmi ceux qui Le renient.

05 · Le trône du roi et celui de la reine de Saba

Il en va de même de tous les beaux noms et attributs de Dieu. Dans tous Il est au-dessus de toute ressemblance avec les créatures, sous quelque rapport que ce soit. Ainsi en est-il de sa prise, de son coup, de son Siège et de son Trône. Qu'on n'imagine dans le Trône et le Siège ni pieds ni coins, dans sa prise et son coup ni paume ni doigts. Quiconque le conçoit ou le croit de Dieu Lui associe assurément autre chose. Il se défait de la connaissance de Dieu et de l'affirmation de son unicité puisqu'il donne à un autre part à son attribut. Pour le Seigneur des mondes, « Siège » et « Trône » ont un sens différent de celui que nous comprenons chez les fils d'Adam. Chez les humains, ce sont le siège du roi et un instrument de la royauté, qu'on porte pour lui ou qu'on pose, muni de huit ou quatre supports. En Dieu, le Siège et le Trône sont sa royauté, son autorité et son entière maîtrise des choses. Sa puissance et sa royauté sur ce qui n'est pas encore sont les mêmes que sur ce qui est déjà. Seul Dieu, le Tout-Compatissant, peut recevoir en vérité pareille description. Quiconque croit, ne serait-ce qu'en imagination, à sa ressemblance avec quelque chose rompt avec la foi en Dieu et en son jugement. Le nom de partisan de son unicité ne lui convient plus. Il s'en est fort éloigné. On ne saurait licitement consommer ce qu'il égorge, se lier à lui par alliance ni contracter mariage avec lui.

Au sujet du Trône que nous interprétons comme la puissance et la royauté de Dieu, que nul ne partage, Dieu qui n'a point d'associé dit. « Exalté soit Dieu, le Roi véritable. Il n'est de divinité que Lui, le Seigneur du noble Trône » (23,

116). Il dit à son envoyé, que Dieu le bénisse ainsi que sa famille. « S'ils se détournent, dis. Dieu me suffit. Il n'est de divinité que Lui. À Lui je me suis confié. Il est le Seigneur du Trône immense » (9, 129). S'agissant de ce Trône noble et immense, le sens juste est, si Dieu le veut, la noblesse et la grandeur de sa royauté, qui ne se mesurent ni à la longueur, ni à la largeur, ni au volume d'un trône. Si elle résidait dans ces dimensions, quelle que fût leur étendue, elles ne dépasseraient ni en grandeur ni en largeur les cieux et la terre de Dieu. À suivre leur raisonnement, cette grandeur serait pour l'émerveillement et la vénération inférieure à celle du ciel, de la terre et des montagnes. Je pense, mais Dieu sait mieux, que lorsque la huppe a annoncé la grandeur du trône de la reine de Saba, elle n'entendait par là que l'étendue et l'importance de sa royauté. « Je t'apporte de Saba une nouvelle sûre. J'y ai trouvé une femme qui règne sur eux. Elle a reçu de toutes choses et elle a un trône immense » (27, 22–23). La huppe a d'abord mentionné sa royauté et ce qui lui a été donné de toutes choses, puis « elle a un trône immense ». Si c'est bien le sens que nous avons dit, elle exalte la reine. Sinon, en quoi la dimension de son trône ou de sa couche rehausserait-elle sa personne, son rang et sa dignité ?

06 · Les porteurs et le jugement

L'expression « Maître du Trône » (40, 15 et 85, 15) signifie « détenteur de la royauté ». Que l'on ne se représente pas une chaise dressée, percée sur les côtés de trous où enfoncer les pieds. Nous venons de dire que Dieu parle aux serviteurs par l'exemple de ce qu'ils connaissent. Cela ne signifie pas que leurs particularités, qu'ils connaissent avec certitude, se retrouvent en Lui. Dieu est trop élevé pour leur ressembler ou pour qu'un de leurs attributs réels s'applique à Lui. Il dit ainsi. « Tu verras les anges entourant le Trône » (39, 75). C'est la scène du jugement au jour du Relèvement et de la Résurrection, celle de la rétribution et de la décision divine, de son éternelle rigueur ou de son agrément. De ce même jugement et de ce prononcé, Dieu dit encore. « Huit, ce jour-là, porteront au-dessus d'eux le Trône de ton Seigneur. Ce jour-là vous serez présentés et rien de vous ne restera caché » (69, 17–18). C'est le jour où les serviteurs sont présentés au Souverain, le Très-Haut, élevé au-dessus de tout partage avec un as-

socié. Il leur décrit cette scène d'après ce qu'ils voient et connaissent des rois de ce monde. Lorsqu'ils passent leurs sujets en revue et rendent la justice, on dresse pour eux ce jour-là leurs trônes et leurs sièges afin qu'ils se prononcent sur les habitants de leur royaume et sur leurs sujets. L'explication imagée possible pour le Trône et le Siège vaut, Dieu soit loué, pour les porteurs du Trône. Dieu peut ainsi évoquer par le Trône et ses porteurs la scène du jugement et de la décision, d'après ce que les hommes ont vu des rois terrestres, tout autrement que ne le décrivent ceux qui ignorent Dieu. Si le Trône peut désigner le jugement et la décision, son portage peut être entendu de même. La raison ne saurait admettre que Dieu soit porté comme l'on porte un objet sur une couche, un trône ou un siège. Qui le dit et le croit ignore Dieu et s'égare loin de sa connaissance.

Comment imaginer qu'Il soit porté, Lui qui a élevé les cieux sans piliers et les maintient en l'air sans attache ni support ? « Dieu retient les cieux et la terre, afin qu'ils ne s'en aillent. S'ils s'en allaient, personne après Lui ne les retiendrait » (35, 41). Il dit encore. « Il a élevé les cieux sans piliers » (13, 2), puis « vous les voyez », c'est-à-dire vous constatez de vos yeux qu'aucun pilier ne les soutient par en dessous. S'il y en avait, chacun sur terre les verrait. Comment Celui qui les porte serait-Il porté ? Comment pourrait-on tenir sur Lui un tel propos ? En parlant du Trône et du Siège, Dieu reste aussi éloigné de toute ressemblance que lorsqu'Il dit maintenir à leur place sa terre et ses cieux. Nul ne se représente ce maintien avec des doigts ni une paume qui saisit. Dieu est au-dessus de tout attribut survenu et passager. Si ces hommes ne veulent interpréter le Trône du Seigneur des mondes que d'après les trônes humains qu'ils ont vus, ils doivent de même entendre l'élévation des cieux et de la terre suivant le modèle qu'ils connaissent et se représentent chez les humains. Il leur faut alors prêter à Dieu, dans son œuvre, la façon de faire des humains qu'Il a créés et fait surgir. Ils L'assimilent donc à la création et parlent de Lui sans vérité. Avec la permission de Dieu leur position devient claire et leur impiété manifeste. Leur association ne peut rester voilée ni secrète à qui connaît Dieu. Nous demandons à Dieu refuge contre l'aveuglement, l'égarement, la perplexité à son sujet et l'ignorance.

07 · Corde, anse, fondations et sceau

Ce que Dieu dit en image de son Trône et de son portage ressemble à sa mention de sa corde. « Attachez-vous tous ensemble à la corde de Dieu » (3, 103). « L'humiliation les frappe partout où ils se rencontrent, à moins d'une corde de Dieu ou d'une corde des hommes » (3, 112). S'agit-il d'une corde de fibres tressées, ou d'une autre matière que l'on récolte ? Il en va de même de « Celui qui rejette le ṭāghūt et croit en Dieu s'est saisi de l'anse la plus solide » (2, 256). Qui penserait que c'est une des anses faites de poil, de fibres de palmier ou d'écorce, torsadée et nouée à la façon habituelle ? Parmi les créatures de Dieu que nous avons vues et connues, aucune, Dieu soit loué, ne le pense. Ce que Dieu dit du Trône, du Siège et de ceux qui portent le Trône est un de ses exemples. Que Dieu fasse miséricorde au serviteur qui comprend ce qu'il Lui doit et écarte de Lui la ressemblance avec toutes ses créatures. Si le Siège et le Trône devaient être comme les sièges et les couches que l'on dresse, il faudrait comprendre de même « Celui qui élève les degrés » et compter ces degrés marche après marche. Ni un esprit sain, ni le faible ni le fort en science ne le concevraient. Ces expressions et leurs pareilles sont des images. Dieu nous assiste, car dans le cœur de ceux qui L'ignorent elles sont déformées et renversées. Ces gens, Dieu soit loué, n'y comprennent ni n'y connaissent rien. « Ces exemples, Nous les proposons aux hommes. Seuls les savants les comprennent » (29, 43). De ces images Celui qui détient puissance et hauteur dit encore. « Leurs devanciers ont usé de ruse. Dieu est venu à leur construction par ses fondations, et le toit s'est abattu sur eux » (16, 26). Il est question d'une venue, sans qu'on imagine Dieu se déplacer. La construction n'est pas un bâtiment construit, le toit n'a pas été matériellement dressé, les fondations ne sont ni de pierre, ni d'argile ou de brique crue. C'est une image véridique du Puissant, du Véridique, du Créateur. Ses paroles sont les plus vraies et ses exemples les plus justes. Cela rend possible l'interprétation que nous avons donnée du Siège et du Trône à l'aide de ces exemples.

Afin de leur parler par des images connues, Celui qui possède grandeur et majesté dit dans son Livre. « Dieu a scellé leurs cœurs » (2, 7). Qui sait distinguer éclaircissement et confusion n'imagine ni cachet ni argile à sceller. De même « Nous avons mis sur leurs cœurs des enveloppes, afin qu'ils ne le com-

prennent point » (6, 25). Personne, aussi ignorant et grossier soit-il, ne se représente de véritables couvertures ou des étuis. De même encore. « Abaisse pour eux deux l'aile de l'humilité, par miséricorde » (17, 24), et « Ramène ton aile à toi pour calmer ton effroi » (28, 32). Quel auditeur, sinon un sot aveugle et déconcerté, s'y représenterait une aile d'oiseau ? De telles figures sont trop nombreuses pour être toutes ici citées. Nous cherchons refuge auprès de Dieu contre l'aveuglement et le trouble et Lui demandons de nous laisser jouir de la direction et du discernement qu'Il nous a donnés. Nous vivons en un temps aveugle où des ignorants aveugles ont pris le dessus. Ils disent de Dieu, béni et exalté soit-Il, ce qu'ils ignorent et, par leurs déclarations, sortent à leur insu de l'affirmation véritable de son unicité.

08 · Pourquoi huit porteurs ?

Si quelqu'un demande pourquoi ceux qui portent le Trône sont précisément appelés « huit » (69, 17) et comment entendre « au-dessus d'eux », on lui répondra ceci. « Au-dessus d'eux » signifie au-dessus des porteurs et de leurs têtes. Pour les huit, je crois, Dieu sait mieux, que les plus honorifiques des trônes et des sièges que connaissaient les anciens et que l'on fabriquait jadis pour les rois des nations étaient des trônes à huit pieds. Chaque coin avait deux pieds, ce qui donnait huit pieds, deux à chacune des deux extrémités et deux de chaque côté. Chez les anciens, faire porter par huit hommes le trône d'un roi puissant et majestueux, le tenir au-dessus de leurs têtes, exprimait mieux l'honneur et la vénération aux yeux des porteurs, des autres habitants du royaume et des souverains redoutables à qui la nouvelle en parvenait. Le prestige du roi en était accru dans les esprits. Chacun des pieds reposait alors sur la tête d'un seul porteur. Cela fait bien huit, mon fils. Que Dieu nous guide tous deux. Voilà à mon sens, Dieu sait mieux, la raison de ce nombre huit dans le portage du Trône.

Dieu prend ses exemples parmi les choses que connaissent ses serviteurs, à la mesure de ce qu'ils en ont vu en ce monde, le seul où ils aient jamais rien vu. C'est par elles et à partir d'elles qu'Il leur fait comprendre les exemples. C'est auprès de Dieu, sans associé, que nous cherchons aide pour comprendre les récits et les discours de ses signes, les preuves anciennes et nouvelles qu'Il a exposées.

Parmi les exemples qu'Il a révélés et détaillés dans son Livre, mon fils, il y a celui-ci. « Quand la jambe s'enlace à la jambe » (75, 29). Nul, pour peu qu'il ait de raison, ne pense à la jambe d'un homme. Il dit aussi « Lorsque l'on sonnera du clairon » (74, 8), sans qu'on l'imagine pareil à un instrument dont on sonne. De même « On soufflera dans la trompe » (18, 99 et 36, 51 et 39, 68 et 50, 20). Il faudrait avoir perdu l'esprit pour se représenter une trompette ou une corne. « Au bord d'un escarpement » (9, 109) ne désigne un escarpement matériel qu'aux yeux de celui à qui Dieu n'a donné en cette affaire ni direction ni connaissance. Un escarpement, au sens connu du mot, est le bord d'une vallée ou un terrain dont les bords sont abrupts.

Voici encore ce que Qurayš dit à l'Envoyé, sur lui la paix. « Nos cœurs sont sous des enveloppes qui les séparent de ce à quoi tu nous appelles. Dans nos oreilles il y a une lourdeur, et entre nous et toi un voile » (41, 5). Les enveloppes ne sont pas des couvertures ou des vêtements, la lourdeur une surdité, ni la mutité des incroyants une incapacité physique de parler, quand Dieu dit « Sourds, muets et aveugles, ils ne reviennent pas » (2, 18). Le voile non plus n'est ni tenture déployée ni construction dressée. D'autres exemples se rencontrent dans sa parole. « Y a-t-il des verrous sur les cœurs ? » (47, 24). Seul un sot grossier et borné y verrait des verrous de fer. Ces figures de la langue que Dieu a donnée aux Arabes et leur force d'explication dépassent tout recensement. Dieu soit loué, une personne raisonnable ne s'y trompe pas même si l'on tente de les voiler et de les obscurcir. Leur portée et leur clarté échappent à celui qui s'égare et s'aveugle. Dieu nous préserve de l'aveuglement et de l'égarement devant les exemples que sa miséricorde nous propose. Combien d'ignorants déconcertés et aveuglés se croient guidés dans leur ignorance ! Tel le Sāmirī qui dit « Ne me touchez pas ! », l'un d'eux ne distingue ni clarté ni confusion. Ils sont comme les bêtes insouciantes à l'abandon qui ne distinguent pas ce qui guide de ce qui égare. Dieu dit à des gens doués de raison. « Ceux-là sont comme des bestiaux, et même plus égarés. Ce sont eux les inattentifs » (7, 179).

09 · De l'entourage des anges à l'allégeance

Je demandai alors comment interpréter « entourant » dans le verset (39, 75). Il répondit. « Entourant » s'interprète de la même façon figurée que le Siège, le Trône et ses porteurs. Les anges, mon fils, entourent ce jour-là le lieu du jugement et de la décision. Les hommes savent qu'un roi, lorsqu'il rend la justice, fait entourer son trône, c'est-à-dire son siège, par les sujets de son choix et de son agrément. Dieu leur dépeint le lieu où Il prononce et décide, au moyen d'une image qu'ils connaissent en ce monde. Une personne raisonnable ne se représente le Trône et le Siège ni comme une couche qu'on porterait, ni comme une estrade que l'on aurait construite et dressée. Pareillement, Dieu utilise une figure que les hommes connaissent dans leurs affaires. « Ils porteront leurs fardeaux sur leur dos » (6, 31). Il est question de fardeaux et de portage. L'être le moins doué de raison ne l'imagine pas comme les charges portées à dos de chameau, un ballot transporté ou une selle déplacée. C'est une image intelligible que reconnaissent les esprits, car chacun sait qu'un fardeau ou un poids se porte sur la nuque ou le dos. De même « Nous avons préparé aux injustes un feu dont l'enceinte les entoure » (18, 29). Seul un ignorant aveugle et stupide se représente une de ces enceintes de tente que l'on voit ici-bas, avec pieux, cordages et auvents.

« Ceux qui te prêtent allégeance ne la prêtent qu'à Dieu. La main de Dieu est au-dessus de leurs mains » (48, 10). Personne doué d'intelligence n'entend par ce que Dieu dit à leur sujet qu'Il aurait une main munie de doigts pour serrer celle de qui prête serment à son envoyé, que Dieu le bénisse ainsi que sa famille. « Que Dieu les combatte ! » (9, 30 et 63, 4) ne décrit pas davantage la lutte connue entre combattants qui bondissent et s'assaillent l'un l'autre. « Dieu a acheté aux croyants leur personne et leurs biens au prix du Jardin » et « Réjouissez-vous donc du marché que vous avez conclu » (9, 111). De tels passages sur la vente et l'achat ne s'entendent pas à la manière des vendeurs et des acheteurs qui concluent une affaire, achètent et marchandent. Comment le pourraient-ils ? Les personnes et les biens que Dieu leur achète Lui appartiennent en propre, à Lui plutôt qu'à eux. Connaît-on un acheteur qui achète ce qui est déjà à lui, hormis Dieu dans sa générosité, exaltée soit sa majesté ? Sa parole à Noé, que Dieu le

bénisse, « Construis le vaisseau sous nos yeux et selon notre révélation » (11, 37), et cette autre, « Nous avons créé pour eux de ce qu'ont fait nos mains » (36, 71), ne signifient pas que Dieu ait de multiples yeux et mains, des yeux grands ou petits comme ceux que nous connaissons, ou des mains longues ou courtes comme celles de tous les humains. Les hommes ne connaissent d'yeux et de mains qu'avec une grandeur donnée, de mains que longues ou courtes. Rien, dans ce que tous voient ou décrivent, ne se présente jamais autrement. Ce sont des figures que Dieu propose à ses serviteurs d'après ce qu'ils connaissent. Aucune ne Le fait ressembler à ce qu'affirment et décrivent ceux qui L'ignorent.

10 · Entourer, parler et se manifester

Entourer, mon fils, c'est envelopper. Envelopper, c'est cerner, faire le tour. Du fait qu'Il enveloppe toute chose, de la dernière à la première, Dieu dit. « Il enveloppe toute chose » (41, 54). « Derrière eux, Dieu les enveloppe » (85, 20). Une chose qui en enveloppe une autre l'entoure de toutes parts, fait le tour de chacun de ses côtés, l'encercle de derrière et de devant. On ne s'imagine pas que Dieu enveloppe ainsi les choses. Il en va de même du Trône, du Siège, du fait de le porter ou de l'entourer. On ne se les figure pas d'après ce que les gens de ce monde observent et voient parmi eux. Dieu enveloppe les choses par la puissance et l'autorité qu'Il exerce sur elles. On n'imagine pas pour Dieu, le Puissant, le Créateur, un encerclement du genre de ceux que pratiquent les créatures ou dont les hommes de ce monde sont témoins. Dieu est saint, bien au-dessus de tout ce qui pourrait Lui servir de modèle. Il dit également. « Dieu a véritablement parlé à Moïse » (4, 164). « Lorsque son Seigneur se manifesta à la montagne, Il la réduisit en poussière » (7, 143). « Ton Seigneur viendra, ainsi que les anges, rang après rang » (89, 22). Qui a établi en son cœur l'unicité et la grandeur de Dieu n'imagine pas qu'Il parle comme un humain avec deux lèvres et une langue. Seul qui ne connaît pas Dieu, béni et exalté soit son nom, et ne Lui reconnaît pas l'unicité qu'Il s'attribue assimile sa manifestation à la montagne à celles que nous voyons chez les gens d'ici-bas. Seul qui ne croit pas et n'a ni la certitude de son unicité ni celle de sa seigneurie imagine sa venue comme le retour d'un absent ou l'arrivée d'un marcheur ou d'un cavalier. Savant ou ignorant,

chacun doit donc comprendre le Siège, le Trône, l'action d'entourer et celle de porter autrement que toutes les choses connues. Les choses diffèrent de Celui qui les a faites dans tout attribut et tout caractère que l'on connaît d'elles. C'est ainsi, Dieu soit loué, que son unicité apparaît et que ses serviteurs Lui doivent la glorification. Qui s'embrouille sur ce point s'embrouille au sujet de l'unicité. Sa glorification de Dieu n'est pas valable, il ignore Dieu et sa prétention à confesser son unicité est vaine.

Parmi les images de son Livre, Dieu dit « Vous étiez au bord d'une fosse de feu » (3, 103). Chacun ne connaît de fosse que creusée et profonde, pourtant la figure révélée est permise. Il peut en aller ainsi du Siège, du Trône, de l'action d'entourer et de porter. Quiconque connaît et comprend la langue des Arabes, si Dieu le veut, l'admettra et saura le comprendre. On nomme šafā, à propos d'une fosse, son rebord, la lèvre en surplomb de l'ouverture. Or lequel des croyants pieux et vertueux se tenait à l'ouverture d'une telle fosse ? « Nous avons affermi leurs cœurs [littéralement, les avons liés] quand ils se sont levés et ont dit. Notre Seigneur est le Seigneur des cieux et de la terre. Jamais nous n'invoquerons de divinité en dehors de Lui. Sinon, nous tiendrions des propos outranciers » (18, 14). Personne, Dieu soit loué, n'y voit un nœud, un lien, des choses liées ou nouées, raccourcies ou allongées, pas même une seule attache, sauf celui à qui Dieu n'a accordé à cet égard ni direction ni bon sens. Le Coran et la langue des Arabes en offrent trop pour que nous disions tout. Louange à Dieu sans associé ! Si nous ne craignions l'abondance et la longueur, nous citerions certaines paroles des Arabes. Nous présenterons cependant, si Dieu le veut, quelques expressions révélées et quelques figures employées chez les Arabes avant et après l'islam.

11 · Lumière, labour et balance

Parmi les exemples lumineux de Dieu et les paroles qui fortifient la connaissance et le discernement, il y a « afin de vous faire sortir des ténèbres vers la lumière » (33, 43 et 57, 9). Ne penserait à la nuit noire ou à quelque chose de ce genre que celui qui manque de raison. Ne verrait dans la lumière évoquée un soleil ou une lune que celui à qui Dieu n'a donné ni esprit ni réflexion. Ainsi en-

core. « De même, Nous t'avons révélé un esprit qui procède de notre commandement » (42, 52). Seul celui dont Dieu n'a pas rempli le cœur de lumière et de clairvoyance imagine un esprit semblable à celui des humains. Autre figure, qui fait comprendre le propos. « Quiconque veut le labour de l'autre vie, Nous lui en accroissons le labour. Qui veut le labour de la vie d'ici-bas, Nous lui en donnons une part, mais il n'aura aucune part dans l'autre » (42, 20). Dieu a nommé ces choses « labour » sans désigner le labour des terres que nous connaissons et voyons, seul labour qui existe aux yeux de celui qui n'en conçoit pas d'autre. Par la grâce de Dieu nous en avons appris le sens voulu. De même pour le Siège, le Trône et le portage. Nous savons que Dieu n'y est pas assimilé à ce qui périt, qu'à Lui appartiennent les plus beaux noms et qu'Il se distingue de la création, sans ressemblance sous aucun rapport.

Parmi les exemples qui n'échappent qu'à l'ignorant grossier, il y a « Nous avons envoyé nos envoyés avec des preuves claires, et fait descendre avec eux le Livre et la balance » (57, 25). La balance veut dire le jugement, la décision et la justice selon laquelle Il statue entre ses serviteurs. Le plus miséricordieux des miséricordieux et le plus sage des juges dit de même. « Nous dresserons les balances justes pour le Jour de la résurrection. Aucune âme ne sera lésée en rien. Fût-ce du poids d'un grain de moutarde, Nous le ferons venir. Nous suffisons pour tenir les comptes » (21, 47). Seul un homme perdu, aveugle et inique imaginerait des balances à plateaux et une pesée effectuée à la main. Tout ce que Dieu dit à ce sujet est clair et connu, Dieu soit loué. Seul qui s'écarte de la droiture s'y aveugle ou prétend en juger arbitrairement. Parmi les figures que les Arabes ont toujours employées, jadis et aujourd'hui, et dont le sens n'échappe qu'à qui ignore leur langue, Zuhayr b. Abī Sulmā disait, au plus profond de l'ère préislamique. « [...] Le temps ne m'a jamais mordu sans accroître ma noblesse. » Or on ne conçoit littéralement de morsure que là où il y a une bouche.

12 · Le temps, la montagne et la guerre chez les poètes

Al-Ḫansāʾ disait. « Le temps me ronge jusqu'à l'os, à coups de dents et d'entailles. Le temps me fait mal, il frappe et meurtrit. » Elle ne voulait pas dire qu'il mord avec une bouche ou une canine. Un sot lui-même ne le penserait pas, en-

core moins un homme intelligent. Nul ne prête les entailles ou les meurtrissures à une main pourvue de doigts, ni les coups à l'une de ces massues dont on frappe. Hind bint ʿUtba, pleurant son père, disait. « Il était pour nous une montagne inébranlable, aux longues outres, à l'herbe abondante. » Un poète d'après l'islam a dit. « Maʿn b. Zāʾida, par qui les Banū Šaybān ajoutèrent de la noblesse à leur noblesse, est une montagne auprès de laquelle tout Nizār cherche refuge. Ses sommets sont difficiles d'accès, ses flancs inexpugnables. » Or il est bien connu qu'aucun homme n'est une montagne de celles que l'on connaît. Une fois l'homme appelé montagne, ils lui attribuent ce qui convient à la montagne, herbe et pâturages, flancs inaccessibles et sommets escarpés. Ils admettent tout cela dans le langage figuré. Pareille façon de parler est donc possible pour le Trône, ceux qui le portent et l'action de le porter.

Dans les figures que le discours autorise, Imruʾ al-Qays b. Ḥuǧr dit. « Umayma, quand le temps bondit, sa dent et ses griffes atteignent de nobles coursiers. » Personne, doué ou dépourvu de raison, ne se représente un temps muni de griffes, de canines ou de molaires. Ibn Mayyāda a dit. « Si mon pressentiment au sujet de ʿAbs dit vrai, et il dit vrai, c'est l'épée de Mašraf qui lui fera reproche. Ils trairont cette mère de deux chamelons, pleine encore. Rude sera la traite entre les mains de ceux qui la traient. » Il veut dire la guerre. Or aucune guerre ne conçoit deux chamelons, ni même un seul, aucune ne donne de lait ni ne se trait. Le saqb est le petit de la chamelle en son jeune âge. Le ḥalab est son lait, en petite ou grande quantité. Tout le monde sait que rien de cela ne saurait littéralement appartenir à la guerre. Comme tu le vois, la figure permet de le lui attribuer.

De même al-Numayrī disait. « Telle guerre, nous l'avons traite après que son lait s'était accumulé. Telle autre guerre, nous l'avons traite coup sur coup. Quand la guerre déjà éprouvée revêtait sa housse, nous découvrions ses jambes en retirant les housses. » Les mašāʿir sont ici les jambes. Ṣarā est le lait qu'on laisse s'accumuler deux intervalles dans le pis. ʿAlāl est la traite à chaque intervalle. Zuhayr dit de la guerre. « Elle vous broie comme la meule broie sur le tapis tendu sous elle. Elle conçoit de nouveau, devient grosse et met bas des jumeaux. Elle vous enfante des garçons, tous aussi funestes que le Rouge de ʿĀd, puis elle les allaite et les sèvre. » Il est bien connu que la guerre ne conçoit ni ne produit des ju-

meaux, qu'elle ne met pas bas, n'allaite ni ne sèvre. Tout ce qu'il en a dit est recevable en figure et constitue chez les Arabes une parole parfaitement juste.

13 · La maison, le pavillon et la bannière

On dit dans une image comparable. « Ils ont porté les centaines, et elles ne leur ont pas pesé [...] ». Or on ne connaît littéralement de charge portée que celle que portent les porteurs. Zuhayr disait encore. « Quant à leur maison, pour peu que l'on compte les maisons, sa voûte s'élève et son édifice s'élargit. Ses assises dominaient dès jadis les titres de noblesse, quand grandissait leur élévation. » Par leur maison il n'entendait ni une demeure en briques crues ni une tente de poil. Par ses assises il n'entendait de fondations ni de roche ni de pierre.

Ibn Mayyāda disait. « Nous avons dans la gloire un immense pavillon vert. Il surpasse les autres pavillons, il a des vagues et un rivage. Notre bannière est au-dessus du ciel, comme une baie sombre au nid, haussée au-dessus d'un porteur. » [Le second hémistiche est de lecture incertaine.] On ne se représente pas le pavillon en question comme un assemblage de traverses entrecroisées, ni comme une tente teinte de vert ou enduite de laque [terme incertain]. Malheur donc à qui rend Dieu, gloire à Lui, bénis soient ses noms dans sa sainteté, semblable à sa création produite et façonnée, portée ou non portée, dans son être, dans la manière de Le connaître ou dans un de ses attributs, Siège, Trône, saisie ou coup. Dieu est trop élevé pour que pareille parole s'applique à Lui ou que les intelligences Lui attribuent pareille ressemblance en aucune de ces choses. Ibn Mayyāda disait encore. « Ils sont la tête altière et le sommet que la violence du présomptueux n'atteint pas. » C'est manifestement une figure dont seul l'ignorant aveugle ne reconnaît pas l'emploi.

14 · Venir et s'établir sur le Trône

J'ai demandé à mon père, que Dieu lui fasse miséricorde, l'interprétation de ces passages. « Et ton Seigneur viendra » (89, 22). « Attendent-ils que Dieu vienne à eux dans des ombres de nuages ? » (2, 210). « Attendent-ils seulement que les anges viennent à eux ou que vienne ton Seigneur ? » (6, 158). Il a répon-

du que toutes ces expressions désignent la venue des signes de Dieu et de son jugement, l'arrivée de son ordre dans la miséricorde ou dans le châtiment. À propos de « venir », Il dit de même « Nous sommes venus à eux avec un Livre que Nous avons détaillé » (7, 52), et, pour l'autre verbe exprimant la venue, « Dieu est venu à leur construction par les fondations » (16, 26). Venir et arriver, pour Dieu, exaltées soient sa majesté et sa dignité, ne se conçoivent pas comme un déplacement d'un lieu à l'autre ni comme une apparition que l'on voit de ses yeux. Qui le dit, ou le suppose et en fixe l'idée en lui-même, sort, humilié, de la confession de l'unicité de son Seigneur. Abondante louange à Dieu, Seigneur des mondes. Que Dieu bénisse Muḥammad et sa famille et leur accorde la paix.

Je l'ai interrogé sur l'interprétation de la parole de Dieu. « Celui qui a créé les cieux, la terre et ce qui est entre eux en six jours, puis s'est établi sur le Trône » (25, 59 et 32, 4). Quelle est la portée du verbe istawā, « s'est établi », et quel en est le sens ? Il répondit. Cela signifie sa royauté sur les choses, son élévation et sa suprématie sur elles. Ainsi quelqu'un dit « Untel s'est établi sur le royaume d'Untel, s'y est établi », pour dire qu'il possède à présent tout ce que possédait l'autre, en totalité. De même on dit de celui qui hérite d'un royaume « il s'est assis, il a pris place sur le trône d'Untel », sans que l'on entende que ce trône lui serve matériellement de siège. Le ʿarš d'une chose peut également en être le toit ou le faîte. Ainsi Dieu a placé le terme supérieur de sa création au plus haut des cieux. Celui qui retient l'un de ces sens pour une expression comme « Il s'est établi sur le Trône » ne se trompe pas dans son interprétation. Quant à l'idée de l'ignorant, que le Trône soit pour Dieu un siège qui Le porte, dont les côtés L'entourent et dont les dimensions Le contiennent, la raison n'en permet pas l'application au Seigneur des seigneurs. Qui l'entend ainsi ignore Dieu. Nous cherchons refuge auprès de Dieu contre l'ignorance de Lui et de sa majesté, contre de tels propos à son sujet et leurs pareils. Dieu nous suffit. Il n'est de divinité que Lui. En Lui nous plaçons notre confiance. Il est le Seigneur du Trône immense. Si, comme Dieu le dit, le Trône est soumis à une seigneurie et que Dieu en est le Seigneur qui le produit, c'est nécessairement une créature et un ouvrage de Dieu. Dès lors, en suivant même les ignorants, Dieu était avant lui. Puisque le Trône n'est pas éternel, Dieu existait alors sans trône. Cette conséquence les couvre de honte et découvre leur ignorance, leur aveuglement, leurs

mensonges, leurs inventions, le peu de rectitude et de direction qui est le leur en cette matière. Louange à Dieu, Seigneur des mondes, pour avoir exposé l'aveuglement des aveugles et pris soin de guider ceux qui trouvent la voie.

15 · Les dernières comparaisons et la prière

Parmi les images où la parole vise autre chose que son sens premier, un ancien a dit. « Les morts trouvent douces nos âmes, elles en délaissent d'autres comme amères. » Or les morts ne goûtent ni le doux ni l'amer, et les âmes n'ont sur la langue aucune douceur ni amertume. Il dit aussi. « Les tonnerres et les éclairs des morts, au-dessus de ma tête, l'ont fait blanchir avant son temps. » Les morts ne tonnent ni ne lancent d'éclairs. Seul un sot malavisé l'imaginerait. Tonnerres et éclairs se produisent dans les nuages. Le poète emploie une image qui peut servir l'explication et l'expression. De même encore. « Nous avions un nabʿ dont les branches nous protégeaient. Ses racines ont disparu, sauf quelques-unes. » Le nabʿ est un arbre dur du Yémen. C'est de ses rameaux que l'on fabrique ces arcs arabes. Toute personne de bon sens qui l'entend sait qu'il ne voulait pas parler ici d'un arbre de cette espèce.

Pareil est l'éloge qu'al-Ḥuṭay'a adresse aux gens de La'y, de la tribu de Ṭayyi'. « Est-ce ma faute si, chez les gens de La'y, vos pioches se sont épuisées contre une roche aux assises inébranlables ? » Il faudrait être un rustre grossier pour y voir un vrai rocher, un sot borné pour croire leurs pioches en fer. Celui dont Dieu a illuminé le cœur et qui connaît son Seigneur sait que le Trône et le Siège ne sont pas ce que voudraient ceux qui assimilent Dieu à son ouvrage ou à certaines de ses créatures. Gloire à Lui, bien au-dessus de pareille idée. Est-il possible, en imagination ou en vérité, que jamais le Créateur soit comme une chose créée ? Celui qui l'imagine ou le suppose, que Dieu le combatte, comme s'égarent son imagination et sa supposition ! N'a-t-il pas entendu la parole de Dieu qui sait et est informé ? « Rien n'est pareil à Lui. Il entend et Il voit » (42, 11). Et encore « Nul n'est son égal » (112, 4). L'égal (kuf') est le semblable, le pareil. Exalté soit Celui qui n'a ni semblable ni pareil, ni égal ni équivalent. Tout ce qui existe hors de Lui est sa création et son œuvre. Dieu a créé et produit tout cela. Du point de vue de

sa création, le grand vaut le petit, le premier est son œuvre au même titre que le dernier. Seul celui qui ignore Dieu dans sa majesté le nie ou l'ignore.

Les aveugles et les ignorants qui ne raisonnent ni ne comprennent ont dit que Dieu avait créé Adam à sa propre image et qu'Il riait jusqu'à laisser paraître ses dents du fond. Chez l'homme, dit le texte, ces dents sont les canines qui jouxtent les molaires. Par là et par d'autres traits, ils L'ont comparé aux humains, Lui dont la sainteté est exaltée. Ils ont prétendu qu'Il connaissait et percevait par les sens, que c'est par la vue qu'Il connaît et perçoit ce qu'Il regarde et qu'Il voit, qu'Il entend ce qu'Il entend à la manière de l'ouïe humaine. Qui tient de tels propos s'est défait de la connaissance de Dieu. Louange à Dieu qui nous a guidés vers sa connaissance et, par une preuve lumineuse, nous a fait distinguer ses attributs de ceux des créatures. Nous demandons son aide pour Lui témoigner la reconnaissance que nous Lui devons et cherchons auprès de Lui refuge contre tout égarement loin de son ordre. Louange à Dieu.

TROISIÈME PARTIE

Subtilités de traduction

وجوه المعنى

01 · La question adressée au père

تشبيه

Comparaison qui attribuerait au Créateur une ressemblance avec sa création.

توحيد

Affirmation de l'unicité de Dieu. L'auteur en fait le principe directeur de toute lecture.

Texte arabe · Traduction

02 · L'Un, ses attributs et les paroles des envoyés

الصمد

Celui auquel on a recours. L'auteur développe le nom coranique en parlant du terme dernier de tout recours.

القيوم

Celui qui subsiste et demeure sans altération, selon la glose de l'auteur.

Texte arabe · Traduction

03 · Du Psautier à la question des formes

الزبور

Le Psautier. Le passage mis dans la bouche de David est traduit tel que l'auteur le rapporte.

حلية

Aspect ou signalement visible, opposé ici à la connaissance de Dieu par ses œuvres.

Texte arabe · Traduction

04 · La royauté, le Siège et le langage des exemples

عرش

Trône. Al-Rassī le comprend ici comme l'expression de la royauté divine.

كرسي

Siège. La distinction de vocabulaire avec ʿarš reste visible en français.

بطش

Action de frapper, de sévir ou de saisir avec force. L'auteur utilise sa proximité avec l'image de la prise.

Texte arabe · Traduction

05 · Le trône du roi et celui de la reine de Saba

دعائم

Appuis ou pieds matériels d'un siège humain.

سرير

Couche ou siège d'apparat, parfois proche du sens concret de « trône ».

Texte arabe · Traduction

06 · Les porteurs et le jugement

حملة العرش

Les porteurs du Trône, expression interprétée dans le contexte du jugement dernier.

حافّين

Entourant. L'auteur renvoie au cercle qui entoure un souverain rendant la justice.

Texte arabe · Traduction

07 · Corde, anse, fondations et sceau

الطاغوت

Ṭāghūt, puissance ou objet de culte auquel on s'asservit en dehors de Dieu.

العروة الوثقى

L'anse la plus solide, qui donne prise sans se rompre.

مدر

Terre durcie ou brique crue employée dans une construction.

Texte arabe · Traduction

08 · Pourquoi huit porteurs ?

قائمة

Pied d'un siège. L'argument tire le nombre de porteurs de la disposition supposée d'un trône.

شفا جرف

Bord d'un terrain escarpé. L'auteur oppose le terrain matériel au sens figuré du verset.

Texte arabe · Traduction

09 · De l’entourage des anges à l’allégeance

سرادق

Enceinte ou grand pavillon de toile, image reprise dans la description coranique du feu.

يبايعونك

Ils te prêtent allégeance. La racine revient dans le vocabulaire de la vente à la page suivante.

Texte arabe · Traduction

10 · Entourer, parler et se manifester

تجلّى

Se manifester ou se dévoiler, dans le récit de Moïse et de la montagne.

شفا حفرة

Lèvre d’une fosse, expliquée ici par le bord qui en surplombe l’ouverture.

Texte arabe · Traduction

11 · Lumière, labour et balance

حرث

Labour, culture, ou récolte espérée. Le texte joue sur la culture de ce monde et celle de l’autre.

ميزان

Balance. L’auteur l’interprète comme signe du jugement et de la justice.

Texte arabe · Traduction

12 · Le temps, la montagne et la guerre chez les poètes

تعرّقني

Il me ronge jusqu'à l'os. L'image attribue les gestes d'une bête au temps.

سقب

Jeune chamelon. La guerre reçoit des attributs de chamelle.

ثفال

Pièce étendue sous une meule pour recueillir la farine.

Texte arabe · Traduction

13 · La maison, le pavillon et la bannière

المئون

Les centaines. L'objet compté reste sous-entendu dans ce vers isolé.

قبة

Pavillon ou tente à la voûte arrondie. Dans les vers, il figure le prestige du groupe.

Texte arabe · Traduction

14 · Venir et s'établir sur le Trône

جاء / أتى

Deux verbes traduits par « venir ». Le dialogue illustre chacun par un autre verset.

استوى

S'établir, dominer ou s'élever selon les contextes examinés ici.

مربوب

Ce qui est sous la seigneurie d'un autre. Al-Rassī oppose ce participe à rabb, « Seigneur ».

Texte arabe · Traduction

15 · Les dernières comparaisons et la prière

المنايا

Les morts, les destins mortels ou les coups de la mort, personnifiés par le poète.

نبع

Arbre au bois dur servant à fabriquer des arcs selon la description de l'auteur.

نواجذ

Dents du fond. La définition anatomique transmise est rendue comme l'explication de l'auteur.

Texte arabe · Traduction

APPAREIL DOCUMENTAIRE

Notice et sources

Al-Qāsim ibn Ibrāhīm al-Rassī est mort en 246 H (860). Le témoin ج de l'édition est une copie de la bibliothèque de la Grande Mosquée de Sanaa. Elle compte 328 pages sans date ni nom de copiste. Jadbān la situe, d'après l'écriture, au VI^e^ ou VII^e^ siècle de l'Hégire (XII^e^–XIII^e^ siècles environ). Il ne fournit pas de cote dans sa notice de la page 176.

La présence de ce traité dans le témoin de Sanaa est attestée par les variantes que l'éditeur lui attribue dans le corps du traité. Page 658, ج et أ ajoutent la suite « Il n'a pas engendré et n'a pas été engendré » à la citation de la sourate 112. Page 671, ج donne « le trône de tout royaume » là où le texte principal a « le trône de tout roi ». Page 680, ج transmet une formulation plus longue du demi-vers sur les centaines.

L'arabe reproduit le texte de lecture de l'édition, accessible sous forme électronique. Le texte établi confronte plusieurs copies. Les renvois coraniques entre crochets et le titre intérieur entre crochets appartiennent à l'édition. La traduction rectifie quatre renvois typographiques de l'arabe reproduit, aux passages du Coran 2, 255 (p. 658), 14, 10 (p. 661), 89, 22 et 2, 210 (p. 681).

Les citations du Psautier et de la Torah sont traduites sous la forme arabe que rapporte le traité. Deux demi-vers absents sont marqués par des points dans l'édition. Plusieurs vers attribués aux poètes n'ont pas été repérés dans leurs recueils par l'éditeur. Le français indique les termes restés incertains, notamment au poème sur la bannière (p. 680).

Sources textuelles

ʿAbd al-Karīm Aḥmad Jadbān (éd.), Majmūʿ kutub wa-rasāʾil al-imām al-Qāsim, tome I, Dār al-Ḥikma al-Yamāniyya, 1422 H / 2001. Début du traité et page de titre, p. 655–660.

Tome I, p. 661–680. Texte et apparat, notamment les leçons du manuscrit de Sanaa.

Tome I, p. 681–685. Fin du traité et formule finale.

Tome I, p. 176. Description du témoin ج provenant de la Grande Mosquée de Sanaa.

OpenITI, transcription électronique de la même édition, Tafsīr al-ʿarš wa-l-kursī.

Provenance des images

Yaḥyā al-Wāsiṭī, Maqāmāt d’al-Ḥarīrī, 634 H / 1236–1237. Paris, BnF, Arabe 5847, f. 5v.

Retour au premier passage